

كتاب اليوم

يصدر عن دار أخبار اليوم

دكتور مصطفى محمود

عالم الأشجار

عالم الأسرار

دكتور

مصطفى محمود

• العدد ٣٣١ •

... أوصيك يا بني بسبعة أشياء إذا حفظتها تسلم

لا تشارك غيوراً ولا تسألن حسوداً ، ولا تجاور جاهلاً ، ولا تناهض من هو أقوى منك ، ولا تؤاخ مرائياً ولا تصاحب بخيلاً ولا تستودع سرّك أحداً

قال أحد حكماء الفلسفة : الإخوان ثلاثة ... أخ كالغذاء تحتاج إليه كل وقت ، وأخ كالدواء تحتاج إليه أحياناً ، وأخ كالداء لا تحتاج إليه أبداً

اللغة التي تكلم بها آدم

كانت لى وقفة طويلة منذ زمن أمام أصل اللغات وأنا أتامل اللفظة العربية .. كهف .. فأجدها فى الانجليزية (CAVE) وفى الفرنسية (CAVE) وفى الإيطالية (CAVA) وفى اللاتينية (CAVUS) .. فأسأل وأنا أراها كلها واحدا .. أى لغة أخذتها عن الأخرى وأياها كان الأصل .

وكان الجواب يحتاج إلى الغوص فى علم اللغويات والبحث فى البحار القديمة التى خرجت منها كل الكلمات التى نتداولها .. وكان هذا الأمر يحتاج إلى سنوات وربما إلى عمر آخر .

ودار الزمان دورته ثم وقع فى يدي كتاب عنوانه .. اللغة العربية أصل اللغات .. والكتاب بالانجليزية والمؤلفة هى تحية عبد العزيز إسماعيل أستاذة متخصصة فى علم اللغويات .. تدرس هذه المادة فى الجامعة .. إذن هى ضالتي .. وعرفت أنها قضت عشر سنوات تنقب وتبحث فى الوثائق والمخطوطات والمراجع والقواميس لتصل إلى هذا الحكم القاطع .. فازداد فضولى وشوقى والتهمت الكتاب فى ليلتين .

والكتاب فى نظرى ثروة أكاديمية وفتح جديد فى علم اللغويات يستحق أن يلقي عليه الضوء وأن يقيم وأن يأخذ مكانه بين المراجع العلمية الهامة .

وألفت نظر القارئ أولاً أن يمر بعينه على الجداول الملحقة بالمقال ويلاحظ الألفاظ المشتركة بين اللغة العربية والانجليزية .. وبين العربية واللاتينية .. وبين العربية والهيوغليفيه .. وبين العربية والألمانية .. وبين العربية والانجلوساكسونية .. وبين العربية والفرنسية .. وبين العربية والأوروبية القديمة وبين العربية واليونانية .. وبين العربية والإيطالية .. وبين العربية والسكسكريتية .. ليشهد هذا الشارع العربى المشترك الذى تتقاطع فيه كل شوارع اللغات المختلفة .. وهذا الكم الهائل المشترك من الكلمات رغم القارات والمحيطات التى تفصل شعوبها بعضها عن بعض .

وأعود إلى السؤال :

لماذا خرجت المؤلفة بالنتيجة القاطعة .. ان اللغة العربية كانت الأصل والمنبع وان جميع اللغات كانت قنوات وروافد منها :

تقول المؤلفة فى كتابها .. ان السبب الأول هو سعة اللغة العربية وغناها وضيق اللغات الأخرى وفقرها النسبى .. فاللغة اللاتينية بها سبعمائة جذر لغوى فقط والسكسونية ألفا جذر بينما العربية بها ستة عشر ألف جذر لغوى .. يضاف إلى هذه السعة سعة أخرى فى التفعيل والاشتقاق والتركيب .. ففى الانجليزية مثلاً لفظ (TALL) بمعنى طويل (والتشابه بين الكلمتين فى النطق واضح) ولكننا نجد ان اللفظة العربية تخرج منها مشتقات وتراكيب بلا عدد (طال يطول وطائل وطائلة وطويل وطويلة وذو الطول ومستطيل) .. إلخ .. بينما اللفظ الانجليزى (TALL) لا يخرج منه شيء .. ونفس الملاحظة فى لفظة أخرى مثل (GOOD)

٤

بالانجليزية وجيد بالعربية وكلاهما متشابه فى النطق . ولكننا نجد كلمة جيد يخرج منها الجود والجودة والإجادة ويجيد ويجود وجواد وجياد .. إلخ .. ولا نجد لفظ (GOOD) يخرج منه شيء .

ثم نجد فى اللغة العربية اللفظة الواحدة تعطى أكثر من معنى بمجرد تلوين الوزن .. فمثلاً قاتل وقتيل وفيض وفيضان ورحيم ورحمن ورضى ورضوان وعنف وعنفوان .. اختلافات فى المعنى أحياناً تصل إلى العكس كما فى قاتل وقتيل .. وهذا التلوين فى الإيقاع الوزنى غير معروف فى اللغات الأخرى .. وإذا احتاج الأمر لا يجد الانجليزى بدا من استخدام كلمتين مثل (GOOD) و (VERY GOOD) للتعبير عن الجيد والأجود .

وميزة أخرى ينفرد بها الحرف العربى .. هى ان الحرف العربى بذاته له رمزية ودلالة ومعنى .. فحرف الحاء مثلاً نراه يرمز للحدة والسخونة .. مثل حمى وحرارة وحر وحب وحريق وحقد وحميم وحنظل وحريف وحرام وحرير وحنان وحكة وحاد وحق .. بينما نجد حرفاً آخر مثل الخاء يرمز إلى كل ما هو كرىه وسيئ ومنفر ويدخل فى كلمات مثل خوف وخزى وخجل وخيانة وخلاعة وخنوثة وخذلان وخنزير وخنفس وخرقة وخرأ وخلط وخبط وخراف وخنس وخم وخلق وخواء .. ونرى الطفل إذا لمس النار قال .. آح ونرى الكبير إذا اكتشف انه نسي أمراً هاماً يقول .. آخ (فالنسيان أمر سيئ) .

وهذه الرمزية الخاصة بالحرف والتى تجعله بمفرده ذا معنى هى خاصة ينفرد بها الحرف العربى .. ولذا نجد سور القرآن أحياناً تبدأ بحرف واحد .. مثل ص .. أو (ق) .. أو .. ن .. وكأنما ذلك الحرف بذاته يعنى شيئاً . ولأن للحروف فى العربية معناها ومدلولها .. فاننا

ألماني	عربي	لاتيني	عربي
erd	ارض	cannon	قانون
volkan	بركان	manon	الإله (مناة)
katxe	قط	gaballum	جباية
reise	أرز	valcan	بركان
noble	نبيل	nafela	ناقلة
kassel	قصر	nobilis	نبيل
lowe	ليث	bucula	بقرة
defence	يدافع	fallita	فلتة
burg	برج	auzon	أذن
broka	بركة		
	(الماني قديم)		
strasse	صراط		
zucker	سكر		

عربي	انجليزي	عربي	انجليزي
كفن	coffin	سدر	cedar
كهف	cave	بخار	vapour
هرع	hurry	قابل	able
بركان	volcano	بدن	body
يقرض	corrode	جارية	girl
ليث	lion	رسغ	wrist
قط	cat	مطر	water
مرآة	mirror	وسط	waist
جدي	goat	فاضي	void
بركة	brook	قال	call
فسيخ	fish	مسيطر	master
يزغلل	dazzle	بلف	bluff
فلتة	fault	نبيل	noble
هلاوس	hellucinations	باطن	bottom
جيد	good	شريف	sherif
عنق	neck	قصر	castle

عربي	لاتيني	عربي	انجليزى
يدافع	defendo	غزال	gazel
أرجو	rego	زراف	giraf
القنب	cannabis	قصر	castle
ذكر	dicere	سكر	sugar
قاضى	vidus	القسط	just
كهف	cavus	صراط	street
زفير	zeferos	أرز	rice
قارض	corus	ليمون	lemon
عرج	arcus	نبيل	noble
كنس	cinis		
طرح	traho		
قبض	captus		
قدم	pedem		
عمتى	amita		
كسر	quassare		

عربي	يوناني قديم	عربي	هيروغليفى
كفن	coffinos	أب	أبو
قانون	kanawn	خاتم	ختم
		نهر	نهر
		قطاع	كأناع
عربي	انجلو ساكسون	يم	يما
		عين ماء	عينو
ورد	wyrt	صحوة	صهوه
ضار	daru	حقد	حكت
هو	he	أتون (النار)	أتون (الشمس)
هى	heo		
هم	hem		

عربي	هيريو غليفي	عربي	سانسكريتي
مع الأخيار	مع خيرو	سته	سبتوم
سبعة	سيفكس		
انا	أنوك		
انت	أنك		
ميه	مو		
حسن	هس		
حطب	حطب		
جنب	كنب		
أمين	أمون		
مكة	بكة		

عربي	فرنسي	عربي	إيطالي
كهف	cave	قطعة	goetta
صابون	savon	زراف	giraffa
ثعبان	serpon	غزال	gazella
شجن	chagrin	مريض	malato
عنق	nuque	قميص	kamija
بخار	vapeur	بخار	vaporé
جبابة	gabelle	قصر	castello
مرآة	mirroire	سكر	zukora
سكر	sucre	صراط	strada
قميص	chemise	القسط	justo
مريض	malade	الكهف	cava
القسط	juste	الأرز	riso
		نبيل	noblé
		مرمر	marmaro
		بركان	volcano

نستطيع أن نؤلف بالعربية جملاً قصيرة جداً مثل ..
 لن أذهب .. ومثل هذه الجملة القصيرة يحتاج الانجليزي إلى
 جملة طويلة ليترجمها فيقول (I SHALL NOT GO) ليعنى بذلك
 نفس الشيء .. لأنه لا يجد عنده ما يقابل هذه الرمزية في
 الحروف التي تسهل عليه الوصول إلى مراده بأقل كلمات ..
 وإذا ذهبنا ننتبع تاريخ اللغة العربية ونحوها وصرفها
 وقواعدها وكلماتها وتراكيبها فسوف نكتشف ان نحوها
 وصرفها وقواعدها وأساليب التركيب والاشتقاق فيها ثابتة
 لم تتغير على مدى ما نعلم من آلاف السنين .. وكل ما حدث
 ان نهرها كان يتسع من حيث المحصول والكلمات والمفردات
 كلما اتسعت المناسبات .. ولكنها ظلت حافظة لكيانها وهيكلها
 وقوانينها .. ولم تجر عليها عوامل الفناء والانحلال
 او التشويه والتحريف .. وهو ما لم يحدث في اللغات
 الأخرى التي دخلها التحريف والإضافة والحذف والأدماج
 والاختصار وتغيرت أجروميته مرة بعد مرة .

وفي اللغة الألمانية القديمة نجد لغة فصحي خاصة
 بالشمال غير اللغة الفصحى الخاصة بالجنوب ، ونجد
 أجرومية مختلفة في اللغتين .. ونجد التطور يؤدي إلى
 التداخل والادماج والاختصار والتحريف والتغيير في
 القواعد .. ونفس الشيء في اللاتينية وأنواعها وفي اليونانية
 وفي الانجلوساكسونية .. ولهذا اختار الله اللغة العربية وعاء
 للقرآن لأنه وعاء محفوظ غير ذي عوج وامتدح قرآنه بأنه
 (قرآناً عربياً غير ذي عوج) .

وحدث ولا حرج عن غنى اللغة العربية بمترادفاتنا حيث
 تجد للأسد العديد من الأسماء فهو الليث والغضنقر والسبع
 والرئيل والهزبر والضرغام والضيغم والورد والقسورة ..
 إلخ .. ونجد كل اسم يعكس صفة مختلفة في الأسد ونجد لكل
 اسم ظلالاً ورنيناً وإيقاعاً .

ومن الطبيعي أن يأخذ الفقير من الغنى وليس العكس ،
 ومن الطبيعي أن تأخذ اللاتينية والساكسونية والأوروبية
 واليونانية من العربية وأن تكون العربية هي الأصل الأول
 لجميع اللغات وأن تكون هي التي أوحيت بقواعدها
 وتفعيلاتها وكلماتها إلى آدم .. كما قال القرآن عن الله .. وعلم
 آدم الأسماء كلها .

ولكن المؤلف لا تكتفى بالسند الديني وإنما تقوم بتشريح
 الكلمات اللاتينية والأوروبية واليونانية والهيروغليفية
 وتكشف عن تراكيبها وتردها إلى أصولها العربية .. شارحة
 ما جد على تلك الكلمات من حذف وادماج واختصار .. تفعل
 هذا في صبر ودأب وأناة ومثابرة عجيبة .

نحن أمام دراسة أكاديمية .. وفتح جديد في علم اللغويات
 تستحق صاحبه الدكتوراه الشرفية من الجامعة .. والتحية
 من الأزهر والاهتمام من القارئ الأجنبي والعربي والالتفات
 من النقاد .. والمناقشة الجادة من الأكاديميين .. حتى لا يقال
 عن بلادنا أنها لا تقوم ولا تقعد إلا لمباريات الكرة .

□ □ □

جميع الأنبياء مروا من هنا

التوحيد على أرض مصر قديم .. جدا ..
ليس كما يظن البعض انه بدأ بإخناتون وإنما
قبل إخناتون وقبل امنحوتب وقبل مينا ..
الرسالات بدأت على أرض مصر منذ اثنتي
عشر ألف وخمسمائة سنة ..
هكذا يقول المؤرخ مانيتون ..

بدأت باوزوريس (وهو النبي أدريس) عليه السلام ..
الذي جاء إلى مصر بالتوحيد .. وكان أول من علم المصريين
الكتابة بالقلم ولبس المخيط ومبادئ الفلك والتنجيم وضبط
الفصول والزراعة والتقويم الشمسي .. وعلمهم أن هناك خالقا
واحدا وأن من يموت منهم سوف يبعث ثم يقف بين يديه
ليحاسب ثم يصير إلى خلود في نعيم أو في عذاب حسب
أعماله .. وكعادة الشعوب القديمة تحول أوزوريس بعد موته
إلى أسطورة وأصبح ألها ونسجت حول سيرته الملاحم
والأغاني والأناشيد ..

والمهندس سيد كريم في كتابه المثير « عقيدة التوحيد »
يرى أكثر من هذا ..



ويقول الإله في كتاب الموتى

خلقت الكائنات وأودعت في كل منها صفة من صفاتي
خلقت كل شيء وحدي ولم يكن بجوارى أحد
بكلمتى خلقت ما أريد
خلقت الأرض وما تحتها والسموات وما فوقها والمحيطات
وما فى أعماقها والجبال وما فى بطونها
وبردية أخرى تصف هذا الإله الواحد
هو فى مخلوقاته وهو يعلو عليها جميعا
هو يرى ببصره كل شيء ولا تراه الأبصار ويسمع كل
همسة ولا تدركه الأسماع
وفى كتاب الموتى نقرا هذه الصلاة
أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء
وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك
شيء
وفى متون البرديات القديمة تبدأ القصة هكذا
فى البدء كان الظلام والعماء والسكون ولا شيء سوى
المحيط
ومن باطن هذا المحيط المظلم خلق الله نفسه بنفسه وخرج
ليفيض النور والحركة على الوجود وكان أول ما خلق .. هم
ملائكة التكوين الثمانية .. خلقهم من أنفاسه ليكونوا حملة
عرشه فوق الماء .. والعرش كان هو التاسوع لهؤلاء الثمانية
المقدسين (٩ رقم مقدس عند الفراعنة وكذلك ٧ لأن الله خلق
كل شيء فى ستة أيام ثم استوى على قمة الوجود فى اليوم
السابع)
ويصف كتاب الموتى نعيم الجنة بأنه تجرى بها أربعة
أنهار .. نهر من الماء الزلال ينبع من عين الخلود ونهر من
اللبن المقدس يتساقط من ثدى نوت ، ونهر من خمر ذهبى
يسيل من أشعة الشمس ، ونهر من عسل مصفى ينحدر من
حدائق الجنة .

انه يعتقد ان الالهة أتوم .. وأوزوريس .. ونو .. هم آدم ..
وادريس .. ونوح .. فما قيل عن ادريس هو نفس ما قيل عن
أوزوريس .. فادريس فى التاريخ .. كما قلت .. هو الذى علم
الناس الكتابة بالقلم ولبس المخيط ومبادئ الفلك والتنجيم
وضبط الفصول والزراعة والتقويم الشمسى .. كما ان
الاله نو .. قد وصف بأنه إله الماء والفيضان ومنقذ
البشرية .. وأتوم أو آدم هو أول من نزل الأرض فى مبدأ
الخلق .

وهو يقول ان أوزير قد يكون هو « عزير » النبى الذى جاء
ذكره فى القرآن وفى التوراة وهو الذى أماته الله مائة عام ثم
بعثه فكان المعجزة التى تحولت إلى أسطورة .. ثم كالعادة
تحول إلى إله .

ولسيد كريم نظرية خاصة فى التعددية الواضحة فى آلهة
الفراعنة الذين بلغ عددهم فى إحصائية العالم بروجش الفين
وثمانمائة إله .. ان هذا العدد فى الأصل ليس إلهة
وإنما أسماء وصفات وأفعال للإله الواحد .. ويدل على ذلك
بان كلمة إله فى الهيروغليفية « نتر » معناها اليد القوية فهى
صفة وليست شخصا .

والدليل الآخر والأهم هو ما جاء فى وصف هذا الإله
الخالق فى متون كتاب الموتى وفى بردية تحوت وفى بردية
ختيا وفى نشيد إخناتون .

ونكتفى بهذه الفقرات التى تعبر بإفصح من أى دليل
فى البدء كانت الكلمة والكلمة مصدرها الإله . إله واحد هو
كل شيء كان وكل شيء كائن وكل شيء سيكون .. محال على
من يفنى أن يكشف النقاب عن سر ما لا يفنى .. عرشه فى
السماء وظله على الأرض .

فوق المحسوسات ومحيط بكل شيء .
موجود بغير ولادة .. أبدي بلا موت .

وسماء الجنة صافية تعكس ألوان الطيف وأرضها خضبة مزدهرة وأشجارها دانية القطوف والثمار وحصاها من الأحجار الكريمة .

مثل هذا التراث الدينى القديم منذ اثنتى عشر ألف سنة لا يمكن أن يأتى من فراغ .

ومثل هذه النبرة الصافية للتوحيد الذى لا يشوبه شرك لا يمكن أن تخرج إلا من مشكاة أنبياء نزلوا بمصر وساحوا فيها ينشدون هذه الأنغام الملائكية .. ورسلا لا نعرفهم ولم يأت لهم ذكر فى الكتب السماوية .

ألم يقل الله لنبيه فى القرآن عن الرسل .

« منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك » .
فأى غرابة فى هذا .

أو ليس التحريف والتبديل والتغيير هو آفة الكهنة فى كل زمان .. وهم الذين حولوا هذا الركب من الرسل إلى آلهة .. ونسجوا حولها الأساطير وحولوا الأسماء والصفات الإلهية إلى أرباب بلا عدد .. ليكون لكل رب قرابين ومعابد وضرائب تجبى من السذج والبسطاء .. ثم كالعادة يدخل كل هذا إلى جيب الكهنة .

ثم جاء الفراعنة الذين سخروا الدين لأغراضهم السياسية واستخدموه سلاحا للسلطة .. كما نرى حال الفرق التى تلعب لعبة السياسة والدين حولنا اليوم بهدف ركوب السلطة .

□ □ □

ومن هذا الصراع جاء هذا التاريخ المختلط الذى نقرؤه زائرا بهذا الكم الهائل من الشرك والتعدد والوثنية ، وهذه المعارك التى خاضها بعض الملوك الشرفاء بهدف انتشار العقيدة والعودة بها وبالبلاد إلى التوحيد .. مثل مينا وامنحوتب واخناتون .. وبعد كل انتفاضة يعود الكهنة فينتصرون بمؤامراتهم .. ولا يجد الموحدون مخرجا إلا الهرب

والهجرة والفرار بأنفسهم وهذا ما تحكيه البرديات عن ..
السابى .. الذين فروا إلى الجزيرة العربية بعد قتل اخناتون هربا من الاضطهاد .. والسابى هم الذين جاء ذكرهم فى القرآن باسم الصابئة .. الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى .. فجعلهم الله مع الناجين يوم القيامة

وكذلك قبيلة بنو عبد مناف .. فهؤلاء مهاجرون من منف .
ومثلهم قبائل جرهم الذين لجأت إليهم أم إسماعيل .
لقد كانت مصر دائما أرض توحيد .. وكانت مهد كل الديانات .

ولذلك أطلق عليها الفراعنة اسم جب تاه (EGYPT)
بالحيروغليفية أى أرض الله .

وهى عندنا كنانة الله فى أرضه .. وهى المحروسة وأهلها فى رباط إلى أن تقوم الساعة .

وجنودها كما قال النبى عليه الصلاة والسلام هم خير أجناد الأرض .

وفى عين شمس ومنذ اثنتى عشر ألف سنة قامت أول جامعة وأول أكاديمية علمية هى جامعة أون .

وفى هذه الجامعة درس أفلاطون وسولون وارسطو .
وفى بردياتها المفقودة .. كانت أسرار علوم الأطلانطيس ..

وأسرار بناء الهرم الأكبر .. وكيف استطاع علماء ذلك الزمان رفع الحجر الجرانيتى بوزن ٧٥ طنا ليكون سقف غرفة الملكة

فى الهرم .. بدون أوناش وبدون تكنولوجيا .. فقط بالتلاوات وتركيز الهمة واستخدام القوة المغنطيسية الذاتية لإلغاء

الجاذبية الأرضية .. وفيها البرديات التى اندثرت عن أسرار الحروف والأرقام وفيها فنون الطلاسم والسحر .. والكثير مما أخذه اليهود فى كتابهم .. الكبلالة .

□ □ □

ومن طرائف ما جاء فى إحدى البرديات عن الرقم ٩ انه إذا ضرب فى الأرقام ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ مجتمعة (وهى ترمز للملائكة الثمانية وتاسوع العرش الذى يحملونه) لجاءت النتيجة ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ وهى صورة رقمية للملائكة الثمانية والإله الواحد الذى يحملون عرشه .

وفى هذه البرديات ان الإنسان الذى خلقه الله على صورته له هو الآخر تاسوع ، فالروح يكون لها استواء عرشى فى الشهر السابع من حياة الجنين تحملها عناصر الحياة الثمانية فى الإنسان وهى القلب والقرين والعقل والظل والطاقة والجسم الأثيرى والجسم المادى والاسم .

ومن أجمل ما قيل عن الآخرة فى كتاب الموتى .
ان الآخرة هى الميزان الذى تعتدل به الدنيا فلا يمكن أن يكون الموت نهاية كل شيء ، فلا بد من بعث وحساب ليكون لكل شيء معنى وللدنيا غاية وللميزان اعتدال .
ولانهاية لما تحويه هذه البرديات القديمة من علوم وأسرار .

ولا يلزم أن يكون كل ما جاء فيها صوابا .. وإنما هو عرضة لكل ما أصاب هذه الأزمنة القديمة من تحريف وتشويه وحذف وإضافة .

لكن جوهر القضية سليم .. ان مصر كانت دائما أرض التوحيد .. وان التوحيد بها قديم قبل إخناتون .. وان جميع الأنبياء مروا من هنا .. وان أول ما جاءت لا إله إلا الله .. جاءت من هذه الأرض .. وان التعددية الوثنية كانت صناعة الكهنة وحرقة الساسة .. وانها لم تكن قط أصلا من أصول العقيدة المصرية .

وعشرات المسلات التى تشير كالإصبع إلى السماء فى كافة أرجاء مصر وبطول وادى النيل تشهد على ذلك الواحد فى السماء الذى تعلقت به القلوب والابصار .. انها ماذن التوحيد

ومصاعد الدعاء والتسبيح فى ذلك العصر البعيد

□ □ □

وتراث التاسوع والثالوث والابن الإله الذى يقتل ويبعث (أوزوريس وإيزيس وحورس) الذى دخل فى اللاهوت الحالى وامتزج بالفكر الدينى يخرج من كهنوت ذلك العصر القديم .. فالحاضر أخذ معه الماضى بكل ما فيه من حقائق وأباطيل كما يأخذ الابن ملامحه من أجداده .

ونجد فى ذلك التاريخ المصرى القديم كل شيء .. نجد مرحلة الاقطاع ونجد الثورة الشيوعية الأولى التى أتت فى نهاية الأسرة السادسة عام ٢٢٨٠ قبل الميلاد وطاردت رجال الدين والمثقفين فى منف وأدت إلى الانهيار الحضارى الأول وإلى هجرة الألوف من العلماء والمفكرين إلى الجزيرة العربية وبابل وفلسطين هاربين من الاضطهاد .. والذين استوطنوا منهم الجزيرة العربية عرفوا بقبيلة بنى مناف نسبة إلى منف وقد أطلقوا على مكة اسم بكة .. وبكة بالهيريوغليفية معناها حصن الأمان .. وقد وردت لفظة بكة بنصها فى القرآن .

□ □ □

ولم يكن غريبا أن يعيد التاريخ نفسه بدخول الفكر الشيوعى مرة أخرى إلى مصر على يد عبد الناصر ليؤدى إلى القرارات الاشتراكية سنة ١٩٦٠ وإلى الانهيار الاقتصادى وإلى هزيمة ١٩٦٧ وإلى هجرة المثقفين وإلى عشرين سنة من النظام القمعى الدكتاتورى ، ومن قبل ذلك دخلت شيوعية القرامطة بغداد ، وهدمت الكعبة وقتلت الحجاج وسرقت الحجر الأسود .. وفعلوا ما فعله الخمر الحمر فى كمبوديا اليوم ، ومازال التاريخ يعيد نفسه فى الصين وفى بولندا وفى تشيكوسلوفاكيا وهتاف الطلبة فى بكين فى ميدان تيانان من وهم يغنون أغانى الحرية والدبابات الشيوعية تحصدهم ..

اسمعه الآن .. وكأني أقرأ في بردية مصرية قديمة .. عن مواكب الظلم والظلام التي لا تتوقف والتي تعيد نفسها مرة بعد مرة عبر التاريخ .. وفي كل مرة يتخذ الظلم لنفسه ايدولوجية وكهنوتا وكهنة ولكنه هو هو دائما وان اختلفت الأسماء .

ولهذا كان اخناتون على حق وكان عبقريا حينما قال في مقدمته عن رسالة العقيدة :

هذه رسالة الإله كما أرادها الإله . فالإله يريد أن يخاطب الناس بنفسه بدون وساطة من أحد وبدون كهنوت . كما يقول نبينا عليه الصلاة والسلام : استفت قلبك . الحلال بين والحرام بين .

وكما نقول نحن .. صوت الفطرة .. وصوت الضمير . فما أكثر ما فعل الكهنوت بالناس من مفاسد ، وما أكثر ما اضلتهم الايدولوجيات ، ولو أنهم انصتوا إلى صوت الفطرة في داخلهم ، ولو أنهم استمعوا إلى صوت الضمير .. ذلك السفير الإلهي الذي لا يخطيء .. لما ضلوا ولما أضلوا .

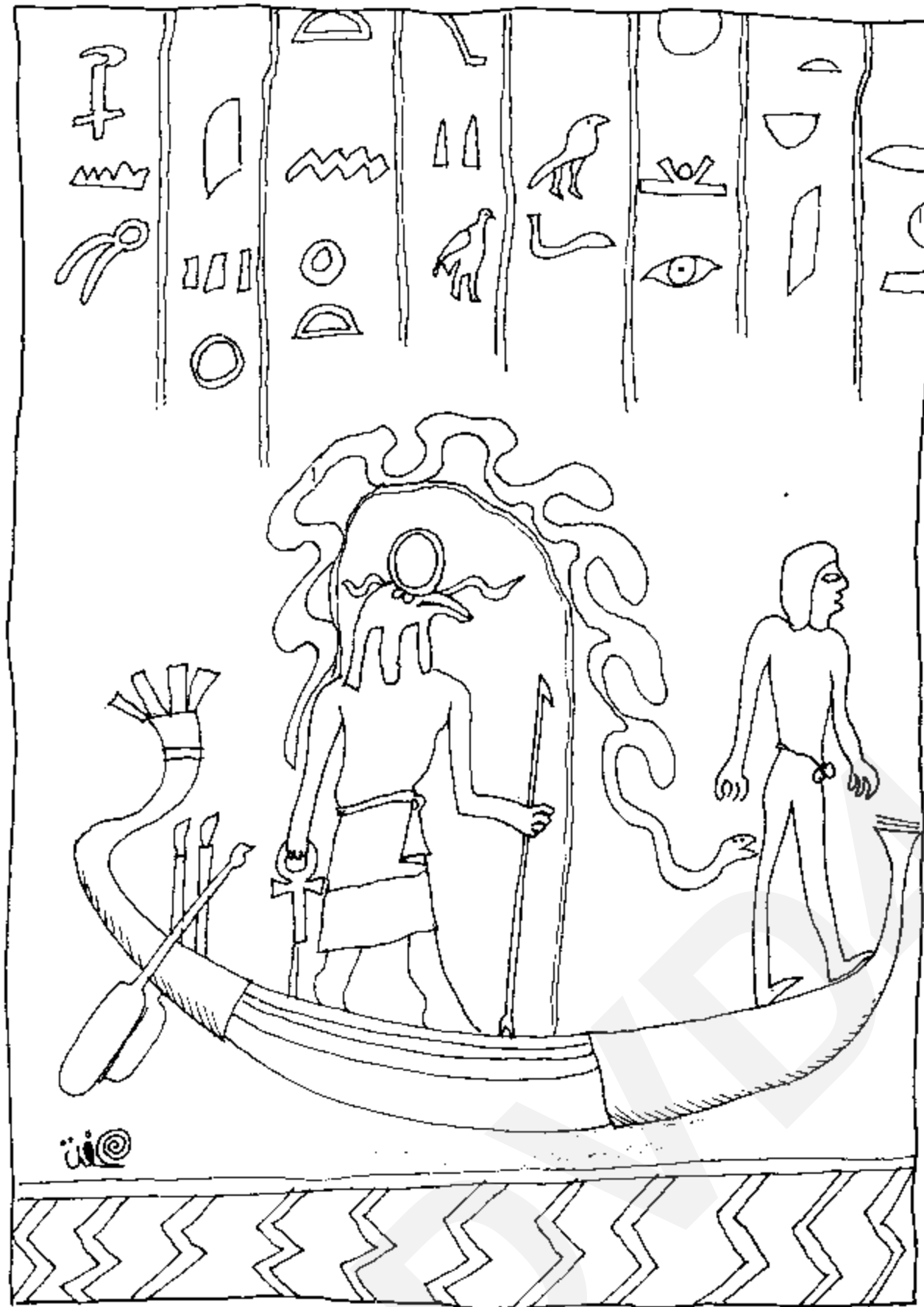
ويستمر النشيد الإخناتوني البديع في تلك الخبرة التوحيدية الصافية .

ونعود فنقرأ هذا النشيد في مزامير داود .. وأحيانا نصادف نفس الألفاظ ونفس العبارات .. ونفس المعاني . ولا غرابة .

فقد أخذ الكل من نبع واحد . من الله الواحد الذي خلق الكون وحده ولم يشرك معه أحدا .

الله الذي يبصر كل شيء ولا تراه الأبصار ، ويسمع كل شيء ولا تدركه الأسماع ، لأنه الواحد الذي ليس كمثلته شيء .

□ □ □



أين كانت نفوسنا قبل أن تولد

أتلفت حولى دائما فى دهشة متأملا اختلاف
الطبائع فى صنوف الحيوان .. مكر الثعلب ووفاء
الكلب وشجاعة الأسد واندفاع الثور وصبر النملة
وتحمل الحمار وغضبة الجمل وانتقام الفيل
ووداعة الحمامة ورقة الغزالة وتلون الحرباء
وغدر النمر ولؤم الضبع ودناءة الخنزير .. فأرى
كل هذه الطبائع التى تفرقت بين أجناس الحيوان .. قد
اجتمعت فى الإنسان .. وأحيانا أراها فى الإنسان الواحد
تختلف عليه مع اختلاف الأحوال والمناسبات .

□ □ □

وفى داخل الإنسان أرى السموات برعودها وصواعقها
وبرقها ورياحها .. وفى باطنه أيضا أحس بثورة البركان
وتصدع الزلازل وهدوء البحر .. ومثل البحر أراد يخفى فى
باطنه الثعابين وأسماك القرش والحيتان القاتلة .. وأحيانا
المراجين والآلى واليوافيت .
وفى جسمه أرى تراب الأرض وثقلها ورخاوتها وصلابتها
ورمالها الناعمة .. وأرى جسمه أيضا مثل الأرض يهوى
التلقيح والاختصاص وينبت الورود الناعمة وأحيانا يلد أشجار
السنديان الضخمة .

ولهذا يقول العارفون بالله .. ان كل ما نرى في صفحات الكون متفرقا بين نبات وحيوان وجماد نجده مجتمعاً في كتاب واحد اسمه الإنسان .. ولهذا أسجد الله الملائكة لهذا الإنسان وسخر له ما في السموات وما في الأرض وأعطاه الخلافة والحاكمية وحفه بأسمائه الحسنی ترعاه بحقائقها وتحفظه بأسرارها .

وقال العارفون ان الإنسان هو المراد من خلق الكون كله ، وان صفوة الإنسان هم الأنبياء وصفوة الأنبياء هو خاتمهم محمد عليه الصلاة والسلام .. فهو الإنسان الكامل المراد من جنس الإنسان على الإطلاق .. وهو العماد الذي ضربت عليه قبة الوجود .. وهو النبي الخاتم الذي اجتمعت له مفاتيح المعارف وكنوز الرحمة ومقام الشفاعة وأنوار الهداية وتميز على الكل بأنه على خلق عظيم فقال له ربه .. ﴿ وإنيك لعلی خلق عظیم ﴾ .

□ □ □

وقال جل من قائل .. ﴿ ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ .. فتلك صلوات من العظيم على العظيم وأمر من الله بأن يصلى عليه الملائكة الأعلى كله .. فتلك خصوصية انفرد بها سيد البشر . وكما انفرد محمد عليه الصلاة والسلام بأنه سيد البشر ، انفردت مريم بين النساء بأنها أفضل نساء العالمين .. كما انفرد كل نبي بمقام .. فهذا موسى الكليم وهذا إبراهيم الخليل وهذا عيسى كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه .

□ □ □

ويسأل السائل ولماذا خلق الله هذا نبيا وذاك ملاكا وذاك شيطاناً ولماذا اختلف الناس إلى نبلاء وسفلة ، ولماذا جاء هذا المخلوق نملة وجاء الآخر جرادة وجاء الثالث خنزيراً وجاء الرابع صرصوراً .. ولماذا اختص الله إنساناً بالولاية

واختص آخر بالغواية .
ويقول الله في قرآنه :

﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ﴾ .

(٨٥ - الحجر)

أى ما أعطينا هذا الخنزير خلقته الخنزيرية إلا لأن نفسه خنزيرية لا تقبل إلا هذه الصورة فجاء اختلاف الرتب بين الخلائق بناء على استحقاقات أزلية .
وما جعلنا إبليس شيطاناً إلا لأنه لم يصلح إلا للغواية .. وكان قبل ذلك بين الملائكة وكانت له رتبتهم ولكنه استكبر .
ويقول ربنا :

﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان انه كان ظلوماً جهولاً ﴾ .

(٧٢ - الأحزاب)

وكانما كان كل شيء بعرض .. وكل شيء باختيار .
وكانما كانت كل الحقائق معروضة .. واختار كل شيء حقيقته .. وقبلت بعض النفوس الحقائق الملكوتية ولم تقبل النفوس الأخرى إلا الصفات السفلية التي تشاكلها .

□ □ □

ويقول ابن عربي : ان النفوس كلها كانت أعياناً في العدم لها ثبوت وصف ولها تشخص أزلي قديم لا يعلم به إلا الله .. هو وحده الذي احاط بصفاتها في حال عدمها .. وعلم مقام كل نفس وما تستحقه .. وما جاءت الدنيا بعد ذلك إلا تحصيل حاصل لهذا العلم الإلهي .

كان الله ولا شيء معه .. وهو الآن على ما عليه كان ..
 إنما هي أشياء يبديها ولا يبتديها .. هي أشياء أخرجها من
 الخفاء والعدم إلى الظهور والوجود .. وأعطى كل شيء
 اللبسة الوجودية التي يستحقها .. فخلق كل شيء بالحق ..
 وأدار الله عجلة الزمن لتكون قصة الابتلاء والامتحان ،
 وليرى كل واحد من نفسه الأشياء التي كان ينكرها ويعلم
 المجرم أنه مجرم والأمين أنه أمين .. وكانت الدنيا هي
 المقدمة وسجل الأعمال .. لتكون منازل الآخرة بعد ذلك منازل
 عدل لا مرأى فيه ، ويرى كل واحد نفسه على حقيقته .

﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك
 حسيبا ﴾ .

(١٤ - الإسراء)

ولولا صحيفة الامتحان والابتلاء لكان صدام حسين إلى
 الآن زعيما عظيما وركنا مهيبا ومصلحا كبيرا .. ولكن الله
 لا يترك كل نفس لما تدعيه وإنما يدخلها في نار الامتحان حتى
 يعرف صدقها من كذبها ثم يعلن كذبها على الملأ فيدون في
 صحف الدنيا كما يسطر في صحف الآخرة .

□ □ □

وقد نستطيع أن نمثل على بعضنا أدوارا لبعض الوقت ،
 وقد يلبس كل واحد غير لبسه ويظهر في غير ثوبه ويرتفع إلى
 أعلى من منزلته .. ولكن ما يلبث أن تفتضح الحقيقة لأن
 الزمن دوار والنفس يزج بها في مازق بعد مازق حتى تفتضح
 رغم أنفها .. فلا مفر في النهاية من أن تكون نفسك ، وإن تظهر
 خبيثتك التي جاهدت طول عمرك في إخفائها .. ولا يستطيع
 أحد أن يمكر على الله الذي بيده ملكوت كل شيء والذي يعلم
 السر وأخفى .

□ □ □

أما حكاية نفوسنا التي كانت أعيانا في العدم (بوصفها
 وتشخصها منذ الأزل) .. فهي السر الأعظم الذي لا مدخل
 لأحد عليه .. يقول ربنا :

﴿ أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل
 ولم يك شيئا ﴾ .

(٦٧ - مريم)

فذلك هو العدم الأول (لم يك شيئا) .. ثم يقول في آية
 أخرى :

﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له
 كن فيكون ﴾ .

(٤٠ - النحل)

□ □ □

وكلمة نقول له (رغم أنه في العدم) يدل على أنه غير
 معدوم .. وتلك هي العين الثابتة التي لها ثبوت وصف
 وتشخص في العدم كما تصورها ابن عربي في شطحاته ..
 وقد تصورها تسمع عن الله بسمع (ليس بسمع وجود)
 وتعقل عن الله بعقل (ليس بعقل وجود) وتعلم عن الله بعلم
 (ليس بعلم وجود) .. وهذا كلام مطلسم تدور له الرؤوس ..
 ومراد الشيخ أن يقول : أن هذه النفوس في عدمها سمعت
 واستجابت لربها بمستوى آخر من الكينونة والوجود لا سبيل
 لنا إلى فهمه .

تماما كما حدث لها في وجودها البرزخي في عالم الذر في
 ظهور الآباء حينما سمعت نداء ربها من غيبه .. ﴿ ألسنت
 بربكم ﴾ .. وذلك كما جاء في الآية :

﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا .. أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ﴾ .

(١٧٢ - ١٧٣ - الأعراف)

فتلك حجة يقيمها الله على كل الأنفس إذ أسمعها وأشهدها وهي في الذر في ظهور الآباء لم تنزل بعد في الأرحام ولم تولد .

﴿ ألست بربكم ﴾ .

فأجاب الجميع .. بلى شهدنا .

فيعود ربنا فيذكرها .

أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين (عن ربوبيتى) أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون .

□ □ □

وفي الواقع ان الله سبحانه قلب الوضع فجاء بهم قبل آبائهم .. جاء بالابن قبل أن تلده أمه وأبوه .. وبذلك أصبحت حجته داحضة . وقوله ﴿ إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ﴾ .. حجة غير مقبولة .. لأن الله أتى به قبل هذا وقبل أن تلده أمه المشركة وأسمعه .. وأشهده على ربوبيته . فذلك حديث غيبى تم على مستوى آخر من مستويات الوجود لا مدخل لنا إلى فهمه ولكنه حدث ولا بد . مادام الله قد ذكره .

وهذه المستويات الغيبية في العدم وفي الذر أسرار عالية .

وقد قرأت لمشايخ أفاضل ولكتاب إسلاميين من قبل هجوم على ابن عربى وعلى فكره وشطحه .. وفى يقينى ان الرجل عظيم ولا شك .. وهو قمة فى فكره وصوفيته .. ولكن الذين هاجموا لهم عذرهم فهو بحر متلاطم يغرق فيه الملاح وتغوص فيه العقول فتخرج بالدر أو تهلك ولا يكون لها نجاة .

وكتب الرجل هى للخاصة وخاصة الخاصة من أهل التفكير . وهى للتأمل الهادى وليست للقراءة المتعجلة . وهى زاد للخائفين والمحبين والعاشقين والمشغولين بربهم وللذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وللذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ولأصحاب الرؤى وأولو الألباب .

وقراء ابن عربى أصحاب مزاج خاص .

والآلوف الذين يدخلون الإسلام من الأوروبيين بابهم الوحيد إلى الإسلام هو ابن عربى .. لأنه يلتقى مع مزاجهم الفلسفى وروحهم الصوفية .

ونظرية ابن عربى عن العدم والأعيان الثابتة فى العدم هى من أعمق ما كتب .

وإذا كنت قد سمحت لنفسى بالدخول خلسة إلى هذه العوالم الملفعة بالأسرار فذلك لأن أحداث حرب الخليج وسيرتها أصبحت شيئا ثقيلا على أعصاب الناس .. وأسوأ ما فى تلك الحرب الخليجية انها كانت حربا غبية .. مما يدعوننا - ورمضان يهل ببشائره وأنواره - أن نخرج بالناس من هذا الوحل ونستشرق شيئا مختلفا .. شيئا يخرجنا من هذه الحجب الكثيفة من القسوة والغلظة والفظاظة .

وليس أجمل من عوالم الأسرار .. ومن أين جئنا .. وإلى أين نسير .. وكيف اختلفنا إلى سوقة وعظماء وإلى بررة وأنبياء .. وكيف امتلأ هذا السجل الذى اسمه الدنيا بعجائب المخلوقات وطرائف السير .

وليس أحلى من جلسة مع قمة من قمم الفكر .. والاصغاء إلى هذا الهمس العميق من عقل متأمل وروح محلقة .. والغريب أن ابن عربي يلتقى في نظريته عن النفس بفيلسوف ألماني كبير جاء بعده بقرون هو ليبنتز .. تصور هو الآخر أن النفوس ذرات روحية كما أن العناصر ذرات مادية .. وأن هذه الذرات الروحية تتفاضل كما تتفاضل الذرات المادية فيما بينها ، ولعله قرأ المخطوط القديم لابن عربي .. فليس هذا الكلام ببعيد عما تصوره ابن عربي بأن النفوس هي أعيان ثابتة في العدم لها ثبوت وصف ولها تشخص أزلي ولها تفاضل فيما بينها .. وهذا التصور لابن عربي لم يسلم من هجوم .. فقال بعض المفكرين المسلمين : أن القول بأن نفوسنا قديمة وأزلية هو شرك صريح لأنه لا أزلية ولا قدم إلا لله ، وكان رد المدافعين عن ابن عربي : أن القائلين بالشرك أساءوا الفهم فلا اشتراك بين قدم النفوس وقدم خالقها .. لأن قدم الذات الإلهية قدم كمال وغنى ، أما قدم هذه النفوس فهو قدم افتقار وحاجة وعجز وهي لا حول لها ولا قوة ولا فعل بدون ربها . بل إنها لا تستطيع أن تبرز من العدم إلى الوجود إلا بمعونة ربها وفضله .

□ □ □

والواقع أنه لا شبهة شرك في الموضوع .. لأن قدم الذات الإلهية قدم وجود .. وقدم النفوس هو قدم عدم .. فلا وجه لمشاركة .. وأين عدم من وجود ؟ .. ويظل الموضوع لغزا مطلقا .. فكيف يكون للعدم ذرات إلا أن يكون غير معدوم . أو يكون له مفهوم آخر غير المفهوم التقليدي المسطح والخواوي .

ويأتي العلم الحديث فيسعفنا .. فقد كنا نظن أن تفريغ الهواء من داخل ناقوس يؤدي إلى فضاء خاو .. ولكن اتضح أن هذا المفهوم خاطيء .. وأننا مهما فرغنا الناقوس من

الهواء .. فسوف نكتشف أن الخواء الباقي ملاء .

□ □ □

وهذا ينطبق على كل خلاء .. فكل خلاء ملاء .. إذ تتخلق في داخل هذا الخواء على الدوام جسيمات مكهربة متناهية في الصغر عمرها قصير جدا أقصر من جزء من بليون بليون جزء من اللحظة .. تفنى بعده وتتحول إلى جسيمات جديدة .. وهكذا دواليك .. يظل النشاط والتخلق مستمرا في هذا الفضاء الخاوي .

ومعنى ذلك أن مفهومنا التقليدي للخواء والفضاء هو مفهوم خاطيء ، والمفهوم الجديد أنه بحر من الخفاء والظلمة محتدم بالنشاط يجري فيه الخلق والبعث لكائنات متناهية الصغر تولد فيه وتموت بشكل متواصل .. وكل هذا يحدث فيما كنا نظن أنه خواء مطلق لا شيء فيه .

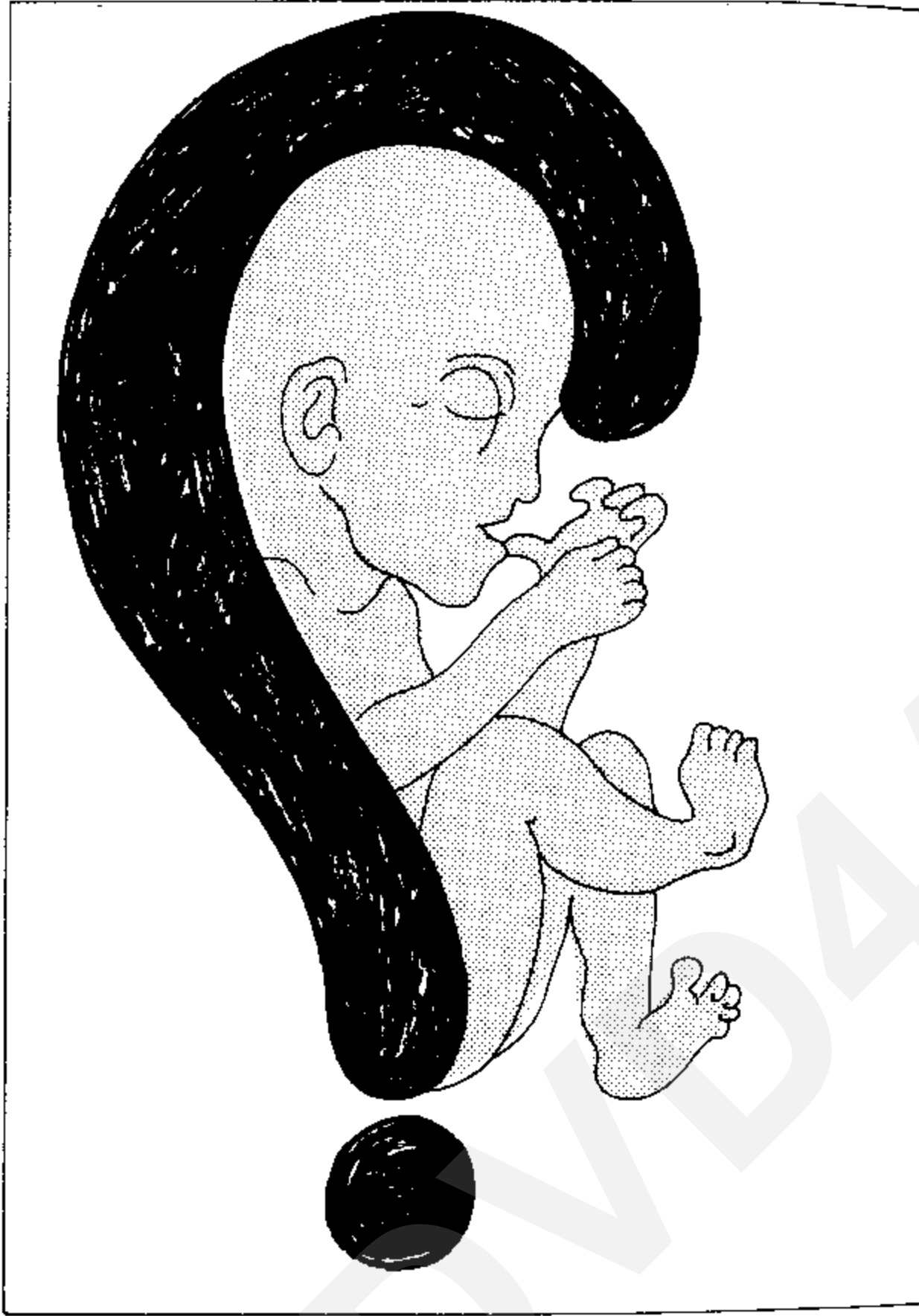
اللاشيء أصبح في ضوء العلم الحديث شيئا بل أشياء .. وحتى لا يتوه القارئ العادي في تفاصيل .. نعود إلى السؤال الأول الذي كان سببا في كل هذه التأملات .. وهو ما النفس .. ومن أين جاءت .. وكيف اختلفت النفوس وتفاضلت إلى كل هذه المراتب من المخلوقات التي بلا عدد .. وكيف جاءت من عدم .. وما العدم ؟

□ □ □

والنكتة في الموضوع كله .. أنها نفسك التي بين جنبيك .. ولا يوجد شيء أقرب إليك من نفسك .. ومع ذلك أنت أجهل الناس بها .. لا تعرف من أنت .. ولا من أين ولا إلى أين تمضي ؟ .. وهؤلاء أكابر العارفين والفلاسفة أكثر منك حيرة وتخبطا .

فإذا كان هذا مقدار علمك بنفسك وهي أقرب الأشياء إليك .. فما بال علمك بغيرك .. ثم علمك بباقي أسرار الدنيا

□ □ □



أليس ذلك مدعاة للتواضع .. وغض البصر .. وخفض
الطرف .. وطلب العلم من الله في انكسار .. والحياء من غناك
إذا كنت غنيا ، ومن علمك إذا كنت عالما ، ومن جاهك إذا كنت
وجيها ، ومن سلطانك إذا كنت صاحب سلطان ، فماذا بعد
الجهل بنفسك من جهل .

وعسى أن يقربك شعورك بعجزك من الرفق بكل عاجز .
وقديما قال سقراط .. اعرف نفسك .. لأنه كان يعلم أن هذه
هي أصعب المعارف .. وأنها المعرفة الكبرى التي إذا بدأت
لا تنتهي .

وكان اينشتاين يقول : كلما ازدادت علما ازداد إحساسي
بجهلي .

وهذه بداية العلم الحقيقي .. العلم الذي يورث الأدب
مع الله .

جعلنا الله وجعلكم من أهل هذا الأدب .

□ □ □

هل عظماء الدنيا هم عظماء الآخرة .. ؟؟

كنا نشاهد جنازة الخوميني كما نقلتها شاشات
التلفزيون .. أمواج من البشر تلتطم وتندب ..
رجال يضربون بأيديهم على صدورهم ..
وشباب يعوى من البكاء كئثالي النساء ..
وسمعت صوتا إلى جوارى يقول :
أتمنى أن أموت وتكون لي مثل هذه الجنازة ..
هذا عظيم من عظماء الآخرة ..
وقلت لصاحب الصوت :

هذه الجنازة شهادة ضد الرجل وليست شهادة في
مصلحته .. ان من يأخذ شعبا قويا ويتركه على هذه الحال من
الضعف واليتم والاعتمادية .. يكون وكأنما مات الرزاق
فلا رزق لهم بعده .. وينوحون كأنما مات القادر فلا قدرة لهم
في غيبته .. هو زعيم متهم في زعامته .. هو زعيم سلب
الشعب إرادته وروحه وحرية وحوله إلى عالة معتمدة
عليه .. ان ما تراه جناية تاريخية لا جنازة تاريخية .

□ □ □

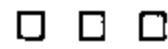
مثل هتلر وموسوليني وفرانكو وسالازار وسوموزا وستالين ..
ومعظم تلك القوى تكون قوى راسبوتينية .

— وكيف تكون هذه القوى راسبوتينية في الوقت الذي
تكون فيه كل الشعارات المرفوعة إسلامية ؟ .

— وكيف تتصور إسلاما يعبر عن نفسه بخطف الرهائن
وتفجير العربات المملوغة في الأبرياء وإرسال الآلاف من
الصبية في العاشرة للموت في حرب عقيم ونصب المشانق
للرأى الآخر أينما وجد ؟ .

لقد دخل محمد عليه الصلاة والسلام مكة منتصرا على
خصوم الأمس الذين قاتلوه واضطهدوه وعذبوا المسلمين
وقتلوهم .. فسألهم قائلا : ماذا تظنون انى فاعل بكم قالوا
أخ كريم وابن أخ كريم .. فقال اذهبوا فانتم الطلقاء .. من
دخل منكم الكعبة فهو آمن ومن دخل بيت أبى سفيان فهو
آمن .. (أبو سفيان عدو الإسلام اللدود) هذا هو نبي الإسلام
وهذه سنته ، فأين هذا من إسلام صاحبنا ؟ .

ان الإسلام ليس شعارا .. انه سلوك وفعل ومنهج حياة ..
ولا اظن صاحبك إلا من عظماء الدنيا ، أما الآخرة فإن لها
موازن أخرى .



وفى كل يوم يموت عظماء يملأون الدنيا ضجيجا وصخباً
ويغيرون التاريخ ويتركون تراثا يختلف فيه الناس ..
بعضهم بلغ أقصى الغنى .. وبعضهم بلغ أقصى العلم ..
وبعضهم شارب الذروة في الفن .. وبعضهم قاد ثورات ..
وبعضهم قاد انقلابات .. وبعضهم اكتشف قارات .. وبعضهم
ابتكر اختراعات .. وبعضهم فجر فلسفات .. وبعضهم ابتدع
ايدىولوجيات .. وبلغوا جميعا أقصى حظوظ الدنيا ..
واعتمدوا كلهم أنهم مصلحون وأنهم رسل خير .. وودعهم
معاصروهم بالمرأى والأشعار وسارت خلفهم الجنائز يتزاحم

ومثل هذا رأيناه في مصر بعد موت عبد الناصر .
واكثر من هذا حدث في روسيا بعد موت ستالين ..
وما كادت تمر سنوات حتى أفاق الروس وأدركوا حقيقة
ما حدث لهم .. وما لبثوا أن أخرجوا الجثة المقدسة من
محرابها في الكرملين وأحرقوها .

ان هذه القوة التي تراها هي قوة مصنوعة .
طاغوط صنعه البوليس والمخابرات والحرس الثورى
وسمعة قامت بقوة السلاح .

ان الرجل الذى جاء به الناس في البداية تطوعا واختيارا
ما لبث أن تحول إلى قلعة مدججة بالسلاح .. ورأى وحيد
منفرد لا يجرؤ مخلوق على مخالفته حتى ولو كان على خطأ ،
ولا مكان لأصحاب الرأى الآخر سوى السجون أو المشانق .
أما الأسطورة :

أسطورة الإمام صوت الله في الشعب ويده في الأرض
وإرادته التى لا تغلب فهى من صناعة الاعلام الشيعة على
مدى ألف عام ساهمت فيها ونفخت فيها اليوم صناعة أخرى
أخطر هى التليفزيون والإذاعة والصحيفة والمجلة والمنشور
والكتاب .. أجهزة غسيل المخ التى عرفناها وخبرنا تأثيرها
في تخدير العقول وبرمجة الشعوب على هوى الحاكم
ومراده .

ان هذا الذى تراه صناعة متقنة وليس حقيقة .

قال صاحبى :

— أليس للموضوع أساس ؟

— بل هناك أساس .. فبعض الشخصيات لها مغنطيسية
خاصة وقدرة على الهيمنة والتأثير وخطف الانتباه .. ومثل
هذه الشخصيات إذا وجدت فرصتها اكتسحت وهيمنت
واستولت وقامت بإلغاء كل ما عداها .. ومعظم تلك
الشخصيات تكون في العادة شخصيات عصابية شريرة ..

فيها الملايين ويتنافس فيها الباكون واعتقد الكل أنهم
صائرون إلى أعلى عليين وأنهم عظماء الآخرة كما كانوا
عظماء الدنيا .

□ □ □

والتاريخ كله أمثلة على هذه القمم .. التي اختطفت
الأضواء وملأت الصفحات واحتكرت الذكر لعدة قرون خلت
وما زالت .

ونختار مثالا لا يختلف اثنان على عظمته .. هو المتنبي ..
ذلك الرجل الفذ الذي ما زالت الكتب تصدر في تحليل
عبقريته .. وننظر معا في أعماق هذه العظمة .
يقول الرجل عن نفسه :

مامقامي بأرض نخلة إلا

كمقام المسيح بين اليهود

ويقول :

أنا في أمة تداركها الله

غريب كصالح في ثمود

ولهذا قالوا عنه : أنه متنب لأنه شبه نفسه بالمسيح والحقيقة
أن ما اعتقد بنفسه كان أكثر من ذلك .

أليس هو القائل :

أي محل ارتقى

أي عظيم اتقى

وكل ما خلق الله

وما لم يخلق

محتقر في همتي

كشعرة في مفرقي

هذا ما قاله في نفسه . أما ما كان يقوله فيمن يمدحهم

فأعجب .. قال في ابن زريق :

يامن نلوذ من الزمان بظله

أبدا ونطرد باسمه ابليس

وفي ابن اسحاق التنوخي :

فما ترزق الأقدار من أنت حارم

ولا تحرم الأقدار من أنت رازق

وفي ابن الاصبغ :

أطاعك الدهر العصي كأنه

عبد إذا ناديت لبي مسرعا

وفي بدر بن عمار :

لو كان علمك بالإله مقسما

في الناس ما بعث الإله رسولا

لو كان لفظك فيهمو ما أنزل الـ

فرقان والتوراة والإنجيلا

وفي سيف الدولة :

تجاوزت مقدار الشجاعة والنهي

إلى قول قوم .. أنت بالغيب عالم

وفي كافور الأخشيدى :

لو الفلك الدوار أبغضت سعيه

لأوقفه شيء عن الدوران

يقول في ذلك العبد الخصى لو أنك أبغضت الفلك الدوار

لأوقفت دورانه بمشيئتك .. فجعل منه إلها .

وقال في عضد الدولة :

أكثر الناس كالعابدين آلهة

وعبده كالموحد الله

وفي المغيث ابن بشر :

وأعطيت الذي لم يعط خلق

عليك صلاة ربك والسلام

مدح عجيب يصل في مبالغته إلى درجة القبول والتسول

في طلب المال ، فإذا لم يأت المال انقلب المدح هجاء مقذعا
وسبابا فاحشا ، وفي الحاليين بشعر باهر ساحر عظيم وصياغة
عبقرية .

نحن أمام عظيم من عظماء الفن بلا جدال وأيضا رجل
لا خلاق له .

يقول علي بن حمزة وقد نزل عنده المتنبي بعد فراره من
مصر انه لم يره يصلي أو يصوم أو يتلو قرآنا .

ذلك هو المتنبي اشعر شعراء العرب .. ملأ الدنيا وشغل
الناس وبلغ اوفى الحظوظ من الثراء والشهرة والجاه وغطت
سيرته التاريخ لعدة قرون وما زالت .. فما حظه من الآخرة ؟ !
وهل دخلها عظيما يصفق له الملائكة ويهتف له نقادهم ..
أم كان له معهم شأن آخر ؟ .

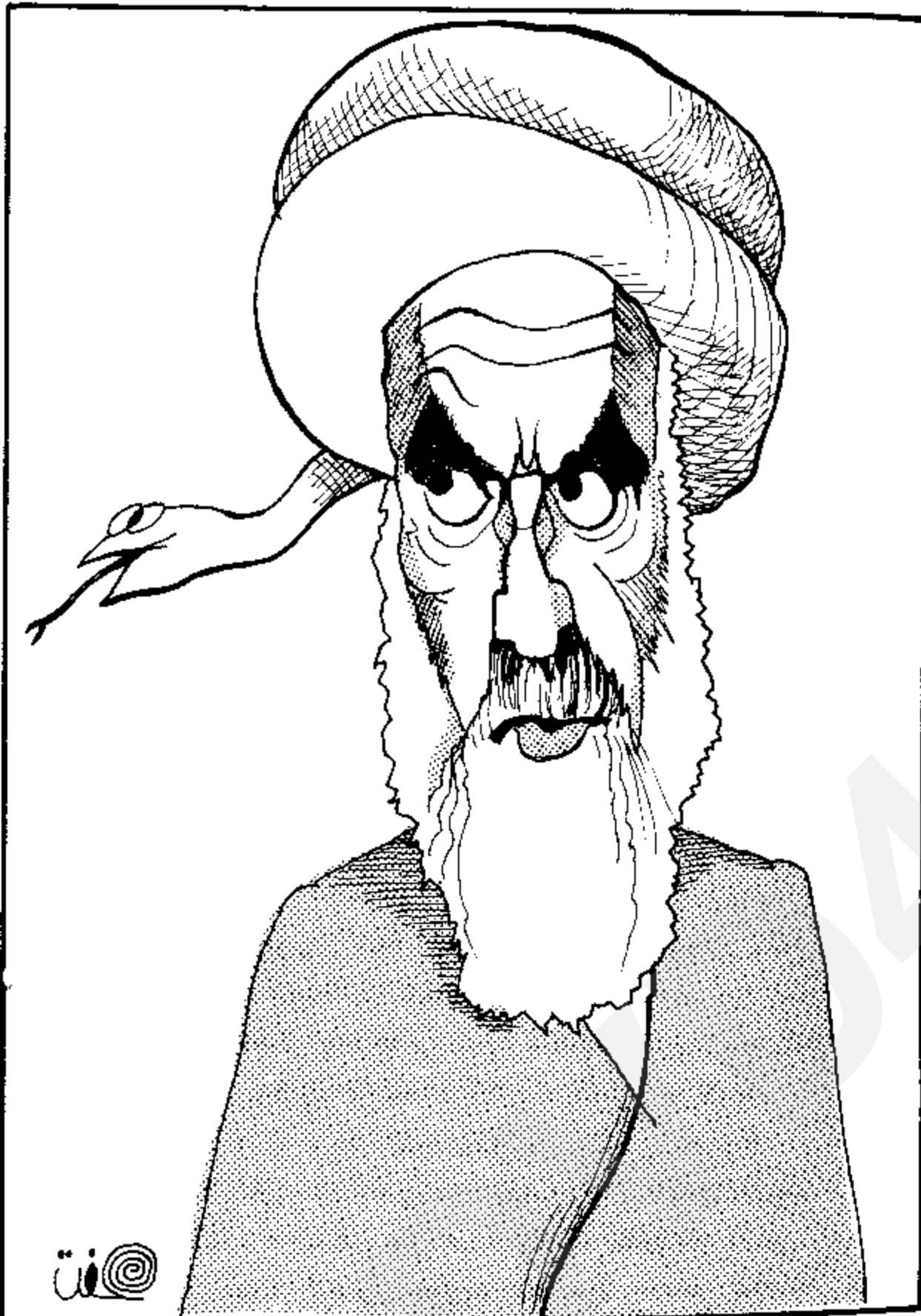
وسارتر وكامي وموليير وفولتير وفاجنر
ونابليون وغليوم وهتلر وستالين ..
وماركس وانجلز ونيتشة وهيغيل ..
وكلولومبس وباستير وفلمنج وكوخ ورونتجن ..
وغيرهم وغيرهم .. من عظماء واكابر الدنيا الذين غيروا
التاريخ وحفلت بهم المراجع والسير واعتقدوا واعتقد معهم
الملايين انهم اصلحوا وبنوا وعمروا وأبدعوا .
أين هم الآن .. وما مصيرهم في الآخرة ؟ !
وهل للآخرة مقاييس أخرى للعظمة مختلفة عن مقاييس
الدنيا .. وما هي ؟ .

* * * *

القرآن في ذلك صريح .. فإله يقول لنبيه :

﴿ وإني لعلی خلق عظیم ﴾ .

لا يقول له .. وإني لعلی علم عظیم .. أو علی فن عظیم
.. أو علی قوة عظيمة أو ثراء عظیم أو عبقرية عظيمة .. بل
يقول علی خلق عظیم وحسب .



قارون الذى قال عن ماله :

﴿ إنما أوتيته على علم عندى ﴾ .

فدخل بذلك باب الخسف والحرمان .

والآخرة لله ولا يفوز بها إلا أهل الله الذين عرفوه ..
ومقاييسها مختلفة عن مقاييس الدنيا .. ولهذا قال الله عن
الساعة انها خافضة رافعة .

أى انها تخفض قوما كانوا فى أوج العظمة فى الدنيا
وترفع قوما كان لا ذكر لهم فى الدنيا ولا يدري بهم أحد .
أما الفائز بالدارين فهم الأكابر الكمل الذين جمعوا بين خير
الدنيا وخير الآخرة ، واجتمعت فيهم مكارم الأخلاق ودرر
المعارف وهم الأنبياء والأولياء ومن فى درجاتهم .

ولا يعلم الابن الذى يدفن أباه إلى أين يصير أبوه ؟
لا يعلم ذلك إلا الله الذى يعلم البواطن والنيات والقلوب ..
وذلك لأن السرائر هى مفتاح المصائر .
ومن ذا الذى يعلم السرائر إلا هو .

وظاهر الأعمال والأقوال تكفى للحكم لصاحب القضية فى
الدنيا ولكنها لا تكفى لمعرفة الحكم فى الآخرة .

ولذا كان المصير لغزا محجوبا عن الكل .

ولذا كانت المفاجأة التى ليس بعدها مفاجأة .. حين تهتك
الاستار وتكشف الأسرار .

ولهذا قال الله مقسما :

﴿ والعصر إن الإنسان لفى خسر ﴾ .

وقال عن المؤمنين الشاكرين الصابرين :

﴿ وقليل ما هم ﴾

وقال :

﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ .

فالآخرة هى البرلمان الوحيد الذى تهلك فيه الأغلبية
وتنجو الأقلية .

□ □ □

ويقول للناس :

﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

لا يقول إن أكرمكم عند الله أعلمكم أو أفنكم أو أمهركم
أو أغناكم أو أشعركم أو أكثركم ذكاء أو أكثركم مالا وولدا
أو أكثركم قوة .

بل يقول أتقاكم .. فمقياس القرب من الله هو مدى التقوى
وحسن الخلق .

بل إن العمل الصالح فى ذاته لا يكفى إلا إذا اقترن بالنية
الخالصة التى تبتغى وجه الله .

أما بناء المستشفيات وإنشاء المدارس وتعمير المدن
لمجرد الشهرة وليقال فلان بنى وأنشأ وعمر .

الخير الذى لا يتجاوز الإعلان عن الذات والدعاية
والسمعة .. هذا الخير لا يدخل فى باب التقوى ولا فى باب
الخلق .. وإنما على العكس يدخل فى باب الرياء ويقال
لصاحب هذا الخير :

ابتغيت بالخير إرضاء غيرنا وقد رضوا .. وحياسة الشهرة
وقد حزتها وطلب الدنيا وقد نلتها .. وأذهبت طبيبتك فى
الحياة الدنيا واستمتعت بها .. ولم يبق لك عندنا
إلا ذنوبك .. وبها نعاملك .

والعلم لا يجزى إلا إذا أدرك صاحب العلم أن علمه
من الله : وعرف اليد التى أعطته وعمل على شكرها وأدرك أنه
لن يفياها حقها شكرا ولو قضى عمره تسبيحا وعبادة .. وذلك
هو العارف .. ولا ينجو العالم إلا إذا أصبح عارفا .

□ □ □

ومواهب الفن باب آخر من أبواب الكرم الإلهى حيث
يتجلى الله باسمه الخالق على عبده فإذا به يخلق هو الآخر .
وإذا احتجب الفنان بغروره فلم يدرك مصدر نعمته
وينبوع هبته فقد حرم نفسه حظ الآخرة وأصبح حاله كحال



ومهما تعاظمت الذنوب فمغفرة الله أعظم ورحمته أوسع ..
وهناك من سبقت له من الله العناية فهو يعيش حياته كلها في
إسراف وغواية ثم يلحق به العفو ويتداركه اللطف في آخر
العمر فيفتح له الله أبواب التوبة ويمهد له في الخيرات
ويوفقه في عديد الحسنات التي تمحو عديد سيئاته .. فماضى
الإنسان ليس قدرا مسلطا عليه .. ولا يوجد ذنب يعظم على
المغفرة ولا خطيئة تعلو على الرحمة ، وقد عاش سحرة
فرعون حياتهم في ضلال ثم في لحظة زمان ماتوا أبرارا شهداء
ورفعتهم الملائكة إلى منازل القديسين .
والعكس صحيح فقد يقضى العبد حياته في طاعة وصلاة
وعبادة ثم تسبق عليه الكلمة في آخر العمر فيموت كافرا .
فلا تدل البدايات على الخواتيم ولا تحكم الظواهر على
المصائر .. وإنما الأمر غيب الغيب .
فالصحافة لا تستطيع أن تقول .. أين الإمام الخميني
الآن ؟ .. وإن كانت تستطيع أن تقول بمقاييس الدنيا كم أخطأ
وكم أصاب .
وهي قد تدخل الناس النار في الدنيا بمقالاتها .. وهي قد
تدخل بعضهم في الجنة كل يوم بثنائها ومديحها .
أما بعد الموت فلا حكم لأحد على أحد .
ولا حكم إلا الله .

□ □ □

لماذا تمرض نفوسنا .. ؟

المؤمن لا يعرف شيئاً اسمه المرض النفسى
لانه يعيش فى حالة قبول وانسجام مع كل
ما يحدث له من خير وشر .. فهو كراكب الطائرة
الذى يشعر بثقة كاملة فى قائدها وفى انه لا يمكن
أن يخطئ لان علمه بلا حدود ، ومهاراته
بلا حدود فهو سوف يقود الطائرة بكفاءة فى
جميع الظروف وسوف يجتاز بها العواصف والحر والبرد
والجليد والضباب .. وهو من فرط ثقته ينام وينعس فى
كرسيه فى اطمئنان وهو لا يرتجف ولا يهتز إذا سقطت
الطائرة فى مطب هوائى أو ترنحت فى منعطف أو مالت نحو
جبل .. فهذه أمور كلها لها حكمة وقد حدثت بإرادة القائد
وعلمه وغايتها المزيد من الأمان فكل شئ يجرى بتدبير وكل
حدث يحدث بتقدير وليس فى الإمكان أبدع مما كان .. وهو
لهذا يسلم نفسه تماماً لقائده بلا مساءلة وبلا مجادلة ويعطيه
كل ثقته بلا تردد ويتمدد فى كرسيه قريير العين ساكن النفس
فى حالة كاملة من تمام التوكل .

□ □ □

وهذا هو نفس إحساس المؤمن بربه الذى يقود سفينة المقادير ويدير مجريات الحوادث ويقود الفلك الأعظم ويسوق المجرات فى مداراتها والشموس فى مطالعها ومغاربها .. فكل ما يجرى عليه من أمور مما لا طاقة له به .. هى فى النهاية خير ..

إذا مرض ولم يفلح الطب فى علاجه .. قال فى نفسه .. هو خير .. وإذا احترقت زراعته من الجفاف ولم تنجح وسائله فى تجنب الكارثة .. فهى خير .. وسوف يعوضه الله خيرا منها .. وإذا فشل فى حبه .. قال فى نفسه الحمد لله .. حب فاشل خير من زيجة فاشلة .. فإذا فشل زواجه .. قال فى نفسه الحمد لله .. أخذت الشر وراحت .. والوحدة خير لصاحبها من جليس السوء .. وإذا أفلست تجارته قال الحمد لله لعل الله قد علم أن الغنى سوف يفسدنى وأن مكاسب الدنيا ستكون خسارة على فى الآخرة .. وإذا مات له عزيز .. قال الحمد لله .. فאלله أولى بنا من أنفسنا وهو الوحيد الذى يعلم متى تكون الزيادة فى أعمارنا خيرا لنا ومتى تكون شرا علينا .. سبحانه لا يسأل عما فعل .. وشعاره دائما ..

﴿ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ .

(٢١٦ - البقرة)

وهو لا يبكى على ما فاتته ولا يفرح فرح الغرور بما يأتية .. مصداقا للآية الكريمة .. ﴿ ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ﴾ .

﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ .

(٢٢ - ٢٣ الحديد)

وهو دائما مطمئن القلب ساكن النفس يرى بنور بصيرته ان الدنيا دار امتحان وبلاء وانها ممر لا مقر ، وانها ضيافة مؤقتة شرها زائل وخيرها زائل .. وان الصابر فيها هو الكاسب والشاكر هو الغالب .

□ □ □

لا مدخل لوسواس على قلبه ولا لهاجس على نفسه .. لان نفسه دائما مشغولة بذكر العظيم الرحيم الجليل وقلبه يهمس .. الله .. الله .. مع كل نبضة .. فلا يجد الشيطان محلا ولا موطىء قدم ولا ركن مظلم فى ذلك القلب يتسلل منه . وهو كما يقول العارفون الكمل .. قلب لا تحركه النوازل ولا تزلزله الزلازل .. لانه فى مقعد الصدق الذى لا تناله الأغيار .

وكل الامراض النفسية التى يتكلم عنها أطباء النفوس لها عنده أسماء أخرى .

الكبت اسمه تعفف .

والحرمان رياضة .

والإحساس بالذنب تقوى .

والخوف (وهو خوف من الله وحده) عاصم من الزلل .

والمعاناة طريق الحكمة .

والحزن معرفة .

والشهوات درجات سلم يصعد عليها بقمعها ويعلو عليها

بكبحها إلى منازل الصفاء النفسى والقوة الروحية .

والأرق .. مدد من الله لمزيد من الذكر .. والليلة التى لا ينام

فيها نعمة تستدعى الشكر وليست شكوى يبحث لها عن دواء منوم .

والقدم مناسبة حميدة للرجوع إلى الحق والعودة إلى الله .

والآلام بأنواعها الجسدى منها والنفسى هى المعونة الإلهية التى يستعين بها على غواية الدنيا فيستوحش منها ويزهد فيها ويتقوى عليها .

والياس والحقد والحسد أمراض نفسية لا يعرفها ولا تخطر له على بال .

والغل والثأر والانتقام مشاعر تخطاها بالعفو والصفح والمغفرة .

وهو لا يغضب إلا لمظلوم ولا يعرف العنف إلا كبجاء لظالم .. والمشاعر النفسية السائدة عنده هى المودة والرحمة والصبر والشكر والحلم والرافة والوداعة والسماحة والقبول .

تلك هى دولة المؤمن التى لا تعرف الأمراض النفسية .. ولا الطب النفسى .

□ □ □

وعلم نفس فرويد وأدلر وغيرهم من علماء الغرب يقف عاجزا خارج أبواب هذه النفس المؤمنة .. ولا حاجة لهذه النفس الكاملة إلى ترهات فرويد وعقده وكوابيسه لأنها تخطت الفلك الفرويدى وتخطت النفس الحيوانية التى يتحدث عنها فرويد وارتفعت بإيمانها إلى فلك آخر نورانى لا يعرفه علم النفس الغربى .

وهذا الإيمان العالى هو فى ذاته شفاء النفوس وبلسم الأرواح ، وهذا الإيمان هو الذى أصلح بال صاحبه مصداقا للآية الكريمة :

﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا ﴾
بما أنزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ﴿ .

(٢ - محمد)

والتوحيد هو الذى سلك المشاعر المضطربة فى تلك النفس ووحدتها وأنقذها من القيه والشتات بين آلهة متعددة تخاف من هذا وذاك .

والأصنام المعبودة مثل .. المال والجنس والجاه والسلطان .. تحطمت ولم تعد قادرة على تفتيت المشاعر وتبديد الانتباه .. فاجتمعت النفس على ذاتها وتوحدت همتها .

وانقشع ضباب الرغبات وصفت الرؤية وهدأت الدوامة وساد الاطمئنان وأصبح الإنسان أملك لنفسه وأقدر على قيادها وتحول من عبد لنفسه إلى حر .. بفضل الشعور بلا إله إلا الله .. وبأنه لا حاكم ولا مهيمن ولا مالك للملك إلا واحد ، فتحرر من الخوف من هذا الحاكم ومن ذلك الكبير .. حتى الموت عنده أصبح تحررا وانطلاقا ولقاء سعيدا بحبيب .

اختلفت النفس وأصبحت غير قابلة للمرض .. وغير قابلة للتهديد .. وغير قابلة للإرهاب .

أصبحت كما يقول الخطاب الربانى فى كتاب المواقف والمخاطبات للنفرى :

إذا انكشف لك سر فكما عدت أنت . أنت .
أنت منى .. أنت تلىنى .. وكل شئ فى الوجود يأتى بعدك .

لا شئ يقدر عليك إذا عرفت مقامك ولزمت مقامك .. فانت أقوى من الأرض والسماء .. أقوى من الجنة والنار .. أقوى من الحروف والأسماء .. أقوى من كل ما بدا فى دنيا وأخرة .

وتلك النفس التي يتكلم عنها النفرى هي النفس الربانية التي ترى ببصر الله وتسمع بسمعه وتعمل بقوته .. فلا شيء يهزمها .

وقد ارتفعت إلى هذه المنزلة بالإيمان والطاعة والعبادة فأصبح اختيارها هو ما يختاره الله ، وهواها ما يحبه الله .. وذابت الأنانية والشخصانية في تلك النفس فأصبحت أداة عاملة ويدا منفذة لإرادة ربها .

وأصبح كلامها هو كلام العبد الصالح في سورة الكهف .. ذلك العبد الذي خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار .. ثم قال لموسى في النهاية مفسرا لغز ما صنع .

﴿ وما فعلته عن أمري .. ذلك تأويل مالم تستطع عليه صبرا ﴾ .

(٨٢ - الكهف)

فشأنه في النهاية أصبح كشأن الملائكة .. شئونهم هي شئون ربهم .. فهم جنود لإرادته .

والنفس المؤمنة لا تعرف داء الاكتئاب .. فهي على العكس نفس متفائلة تؤمن بأنه لا وجود للكرب مادام هناك رب .. وأن العدل في متناولنا مادام هناك عادل .. وأن باب الرجاء مفتوح على مصراعيه مادام المرتجى والقادر حي لا يموت .

□ □ □

والنفس المؤمنة في دهشة طفولية دائمة من آيات القدرة حولها .. وهي في نشوة من الجمال الذي تراه في كل شيء .. ومن إبداع البديع الذي ترى آثاره في العوالم من مجراتها الكبرى إلى ذراتها الصغرى .. إلى الكترونات المتناهية في الصغر .. وكلما اتسعت مساحة العلم اتسع أمامها مجال الإدهاش وتضاعفت النشوة .. فهي لهذا لا تعرف الملل ولا تعرف البلادة ولا تعرف الكآبة .

وحزن هذه النفس حزن مضيء حافل بالرجاء . وهي في ذروة الألم والمأساة لا تكف عن حسن الظن بالله .. ولا يفارقها شعورها بالأمن لأنها تشعر بأن الله معها دائما ، وأكثر ما يحزنها نقصها وعيوبها وخطيئتها .. لا نقص الآخرين وعيوبهم .

ولكن نقصها لا يقعدها عن جهاد عيوبها .. فهي في جهاد مستمر وفي تسلق مستمر لشجرة خطاياها لتخرج من مخروط الظل إلى النور المنتشر أعلى الشجرة لتأخذ منه الحياة لا من الطين الكثيف أسفل السلم .

إنها في صراع وجودي وفي حرب تطهير باطنية . ولكنه صراع هادي واثق لا يبدد اطمئنانها ولا يقتلع سكينتها لأنها تشعر أنها تقاتل باطلها بقوة الله وليس بقوتها وحدها .

والإحساس بالمعية مع الله لا يفارقها ، فهي في أمن دائم رغم هذا القتال المستمر لأشباح الهزيمة ولقوى العدمية بداخلها .. فهي ليست وحدها في حربها .

□ □ □

ذلك هو الجهاد الأكبر الذي يشغل النفس عن التفاهات والشكايات والآلام الصغيرة ويحفظها من الانكفاء على ذاتها والرتاء لنفسها والاحتفاء بمواهبها .. فهي مشغولة عن نفسها بتجاوز نفسها وتخطي نفسها والعلو على ذاتها .. فهي في رحلة خروج مستمرة .. رحلة تخطي وصعود .. ودستورها هو :

ان تقاوم أبدا ما تحب وتحمل دائما ما تكره .
وطريقها .. طريق الأنبياء .. تمشي على خطاهم .
وذلك هو الصراط .
أدق من الشعرة .

□ □ □

والفرق فيه أدق من الشعرة بين الادعاء والإخلاص .
ولا يعرف مقدار الإخلاص في هذا الطريق إلا رب السرائر .
النفس ذاتها لا تستطيع أن تتبين مقدار إخلاصها ومقدار
ما يشوبها من ادعاء .. يقول ربنا في الهامات العارفين :
الإخلاص سر من سرى استودعته قلوب أصفياؤى لا يطلع
عليه ملك فيكتبه ولا شيطان فيبطله ولا هوى فيميله .
ويقول الله في القرآن عن سيدنا يوسف عليه السلام :
﴿ انه كان من عبادنا المخلصين ﴾ (بفتح اللام إشارة إلى
أنه هو سبحانه الذى أخلصه) .
ويقول عن الأبرار الأخيار :

﴿ إنا أخلصناهم بخالصة .. ذكرى
الدار ﴾ .

(٤٦ - ص)

والوحدة بالنسبة لهذه النفس ليست وحشة بل أنسا ..
وليست خواء بل امتلاء .. وليست فراغا بل انشغال .. وليست
صمتا .. بل حوار داخلى واستشراق نورانى .
وهى ليست وحدة بل حضن آمن .
ومشاعر تلك النفس منسابة مع الكون متألقة مع قوانينه
متوافقة مع سننه متكيفة بسهولة مع المتغيرات حولها .. فيها
سلاسة طبيعية وبساطة تلقائية .. تلتبس الصداقة مع كل
شئ .. ومثالها الكامل هو النبى محمد عليه الصلاة والسلام
حينما كان يحتضن جبل أحد ويقول : هذا جبل يحبنا
ونحبه .. فالمحبة الشاملة هى أصل جميع مشاعرها .
إنها فى صلح دائم مع الطبيعة ومع القدر ومع الله .

□ □ □

وعذابها الوحيد خطيئتها وإحساسها بالبعد والانفصال عن
خالقها .. وهو عذاب يخفف منه الإيمان بأن الله عفو كريم

تواب يحب عباده الأوابين المستغفرين .
وهى أقرب ما تكون إلى ربها وهى ساجدة ذائبة حبا
وخشوعا .

وذلك معراجها التى تكون فيه قاب قوسين أو أدنى من
النبع والمنهل وتكون فيه أشبه بنغمة شاردة تعود فتلتحم
بالسيمفونية الموسيقية للوجود وترتعث أوتارها رعشة
الانسجام الشامل فى لذة روحية عظيمة .. لا يعرفها إلا من
ذاقها وكابدها .

يقول العارفون الأكابر : نحن فى لذة لو عرفها الملوك
لقاتلونا عليها بالسيوف .. ولكن أنى للملوك أن يعرفوها وهم
غرقى الدنيا وسجناء ماديتها .

□ □ □

والدين وطاعته ومجاهداته هو السبيل إلى ميلاد تلك
النفس وخروجها من شرنقتها الطينية .
ولا يوجد سبيل آخر لميلادها .. فالعلم لا يلد إلا غرورا
والفن لا يلد إلا تألها .. والدين وحده هو المحضن الذى
تتكامل فيه النفس وتبلغ غايتها .
وبين العلماء مرضى نفوس مشغولون باختراع القنابل
والغازات السامة .

وبين الفنانين متألهاون بوهيميون غرقى اللذائذ الحسية .
والدين وحده هو سبيل النفس إلى كمالها ونجاتها
وشفاؤها .

والنفس المؤمنة نفس عاملة ناشطة فى خدمة الآخرين
ونجدتهم لا يقطعها تأملها عن الشارع والسوق وزحام
الأرزاقي .

والعمل عندها عبادة .

والعرق والكدح علاج ودواء وشفاء من الترف وأمراض
الكسل والتبطل .

حياتها رحلة أشواق .. ومشوار علم .. ورسالة خدمة .
والعمل بابها إلى الصحة النفسية .
ومنتهى أملها أن تظل قادرة على العمل حتى النفس الأخير
وان تموت وهي تغرس شجرة أو تبني جدارا أو توقد شمعة .
تلك النفس هي قارب نجاة
وهي في حفظ من أى مرض نفسى
ولاحاجة بها إلى طب هذه الأيام ..
فحياتها فى ذاتها روضة سعادة
□ □ □

لماذا أنا ذكر وأنت أنثى .. ؟

فى إحدى جزر الكاريبى حدثت ظاهرة غريبة
استوقفت النظر وأثارت التساؤلات فى كل
الأوساط العلمية . فقد تحولت ٣٧ بنتا فى سن
البلوغ فجأة إلى ذكور .. حدث ذلك فى
٣٢ عائلة .. وكان مظهر البنات كامل الأنوثة
بصدور ناهدة كما كانت الأعضاء التناسلية
الخارجية أعضاء أنثوية .. ثم فجأة حدث التحول تلقائيا
وبدون أى تدخل طبي أو جراحى .
وعكفت بعثة طبية أوروبية على دراسة الظاهرة .
□ □ □

واثبتت الدراسة أن جميع البنات كن (من حيث التشريح
الباطنى) ذكورا من البداية .. أى كانت لهن خصية مكتملة
داخلية ولم يكن لهن أرحام أو مبايض .. أما سبب أنوثة
المظهر الخارجى فكان عيبا فى أحد الجينات الوراثية التى
كان لها دور هام فى بناء الهرمون الذكري .. وقد جاء التحول
من تلقاء نفسه مع البلوغ ومع إفراز الخصيات الداخلية

قضيبي ومهبل من حيث أعضائه الخارجية .

وقد سجلت الإحصاءات ٢٥ حالة من هذا النوع بطول التاريخ .. وفي تلك الحالات يكون للمولود عند إدراك البلوغ الخيار في أن يكون ذكرا (وذلك بأن يجرى عملية استئصال جراحي لأعضاء الأنوثة) أو أن يكون أنثى (وذلك بإجراء استئصال جراحي لأعضاء الذكورة) .

كما ان له الخيار في أن يعيش خنثى وأن يلحق نفسه بنفسه باعتباره رجلا وامرأة في نفس الوقت .. ولم يحدث بين الـ ٢٥ حالة أن اختار الضحية هذا المصير .

□ □ □

والحالتان اللتان تحتفظ بهما السجلات الطبية .. هما حالة خنثى في الفيلبين اختارت أن تكون ذكرا وأجرى لها الجراح استئصالا كاملا لأعضاء الأنوثة ونجحت الجراحة .. والحالة الثانية في النرويج ولم تكن تامة الخنوثة واختارت أن تكون امرأة فأجرى لها الجراح استئصالا لأعضاء الذكورية .. وتزوجت ولكنها عاشت عقيما لأن الرحم كان ضامرا .

ومن علماء الفسيولوجيا من يقول بأن الأصل في الإنسان هو الأنوثة وان ذكورة الجنين لا تحدث إلا بهندسة وراثية نتيجة دخول الكروموسوم Y على البويضة .

وقد جاءت الأخبار أخيرا من لندن بتحويل ثلاثة أجنة لفئران إناث إلى ذكور عن طريق حقن الجينة الوراثية S.R.Y. .. وقام بهذا التحويل فريق من ثلاثة علماء بريطانيين .

والتجربة تثبت أن الذكورة والأنوثة هي من عمل الجينات الوراثية .. ولكنها لا تثبت أن الأصل في الإنسان هي الأنوثة .. والأكثر صدقا أن نقول : ان الجنين الإنساني يأتي محايدا وقابلا للأنوثة والذكورة من البداية .. ثم يتوقف المصير على ما يحمله الحيوان المنوى في دماغه .. هل هو الكروموسوم Y أو الكروموسوم X .. وما هي التعليمات

للهرمون الذكري بفزارة .. فكان هذا النشاط معوضا عن تلف الجينة الوراثية .. وحدث التصحيح بدون أى تدخل طبي . ولغز الذكورة والأنوثة ظل غامضا حتى اكتشف العلماء دور الجينة الوراثية S.R.Y. في الكروموسوم Y بالحيوان المنوى الذى يلحق البويضة الأنثوية بعد الجماع .. فإذا حدث وكان الحيوان المنوى يحتوى على هذا الكروموسوم Y فإن هذا يعنى أن هناك أوامر في ورقة العمل بأن يكون الجنين ذكرا .

□ □ □

والغدد التناسلية في كل جنين تكون محايدة وقابلة للتحويل إلى خصيات أو مبايض حسب نوع الحيوان المنوى الذى سيلقح البويضة .. فإن كان فيه الكروموسوم Y .. فإن الغدة التناسلية تتحول إلى خصية .. وان كان فيه الكروموسوم X فإن الغدة تتحول إلى مبايض وتكون النتيجة أنثى .

ان قدر كل منا مكتوب في اللوح المحفوظ الصغير الدقيق في دماغ الحيوان المنوى وهو معلوم مسبقا قبل لقاء الحيوان المنوى بالبويضة .

وما يحدث عند لقاء الحيوان المنوى بالبويضة وحدوث التلقيح .. هو تنفيذ المكتوب وجريان القدر بما كتب في اللوح المحفوظ .

□ □ □

والطريف في الموضوع هو ما يحدث إذا لقح البويضة حيوانان منويان في وقت واحد وكان في كل منهما ورقة عمل مختلفة .. أى كان أحدهما Y والآخر X .

والاحتمال في هذه الحالة أن ينشأ نصف الجنين أنثى والنصف الآخر ذكرا .. أى يولد الجنين خنثى مثل الدودة الشريطية له مبايض وخصية داخليا في وقت واحد ، وأيضا

المكتوبة في اللوح المحفوظ في دماغ الحيوان .

وهو واقع يؤيده القرآن في الآية الكريم :

﴿ وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من
نطفة إذا تمنى ﴾ .

(٤٦ - النجم)

أى أن السر هو النطفة المنوية .. وفى آية أخرى :

﴿ هو الذى خلقكم من نفس واحدة
وجعل منها زوجها ﴾ .

(١٨٩ - الأعراف)

﴿ خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها
زوجها ﴾ .

(٦ - الزمر)

وهذا يعنى ان أصل الذكورة والأنوثة واحد والله يجعل
للنفس زوجها منها .

والرأى الآن أن مخ الذكر يختلف عن مخ الأنثى تشريحيًا
وأن الفروق السلوكية بين المرأة والرجل ليست ناتجة عن
التربية والاكتماب من الأب والأم فقط .. وإنما هناك فروق
عضوية واختلافات بين مخ الرجل ومخ المرأة .. وراء الفروق
بين شخصية المرأة وشخصية الرجل .

□ □ □

وقد يحدث بسبب خلل هرمونى أن تجد امرأة لها عقل رجل
(والمثال الحاضر هو مثال مسز تاتشر رئيسة الوزراء
البريطانية التى وصفوها بأنها المرأة الحديدية) وقد يحدث
العكس أن نجد رجلا يفكر بعقلية امرأة .

وقد خرج علينا من العلماء من يعتذر للشواذ جنسيا بأنهم
مرضى بسبب خلل فى أداء الجينات الوراثية .. وأن الشذوذ

الجنسى مرض عضوى وليس انحرافا خلقيا .. وهو كلام
ينقصه الدليل .. فلم يثبت بالتحليل الهرمونى لدماء الشواذ
هذا الخلل المزعوم .

□ □ □

وما يحدث فى أمراض الغدة النخامية حينما تظهر للمرأة
لحية وشارب .. اننا لا نرى المرأة تتغير سلوكيا فتتميل إلى
رفقة الإناث .. وإنما الذى يحدث أنها تشتمز تماما من شاربها
ولحيتها وتستنجد بالأطباء .. والخلل فى هرمون A.C.T.H.
لا يجعل منها امرأة شاذة جنسيا .. كما انه لم يحدث أن حقن
الرجل بهرمونات المبيض يجعل الرجل من الشواذ جنسيا .
والأقرب أن يكون الشذوذ تمردا خلقيا وانحلالا وترفا ومللا
ورغبة فى التلويين .

□ □ □

ولكن العقل الأوروبى يحاول أن يفسر الانحلال بالهرمونات
ويحاول أن يعالج كل شىء بالحقن ويزعم أن كل شىء مادة
حتى الأخلاق والفضائل .. وهم سعداء جدا بالنتيجة التى
وصلوا إليها وهى ان الذكورة والأنوثة هندسة وراثية
وجينات وتعليمات وأوامر مكتوبة بحروف شفرية من حمض
الريبونيوكلبيك فى دماغ الحيوان المنوى .

□ □ □

ولا أحد يفكر فى من هو الذى كتب تلك الشفرة ومن أودعها
فى هذه الصحيفة المتناهية فى الصغر (مجموع الجينات
لكل البشر من أيام آدم إلى الآن لا تملأ نصف فنجان) وعدد
الجينات فى كل فرد منا يتجاوز التسعمائة ألف جينة تحمل
أكثر من تسعمائة ألف معلومة عن بناء كل منا وصفاته .. فهى
مجلد أو عدة مجلدات أو مكتبة فى حجم أصغر ألف مرة من
الهبة .

□ □ □

من هو الكاتب الذى كتب أقدارنا وصفاتنا وتاريخنا فى داخل هذا اللوح الأسطورى فى صغره (ألف مرة أصغر من الهباءة) .

وبأى يد تباركت وتقدست فى قدراتها ومهاراتها وعظمتها وعلمها وعدلها وحكمتها سُطرت هذه الأقدار فى هذا المجلد الشفرى المتناهى فى الصغر .

□ □ □

ولا أقل من السجود خشوعا وإكبارا لهذه العظمة .. حيث تعجز العبارة عن الوفاء بالمعنى .

ولكنهم لا يسجدون .. فعلمهم مازال علما ماديا صرفا .. وهو علم يجرى أكثره فى اتجاه واحد .. من المعامل إلى الكومبيوترات إلى الكتب .

وفى فرحتهم بالعلم ينسون المعلم والملهم المحتجب وراء الغيب .. لأنهم ما عادوا يهابون الغيب .. من فرط ما أدمنوا هتك الغيب .

وينسون أنهم ما هتكوا الغيب إلا بإذن الغيب .. وما اكتشفوا ما اكتشفوه إلا بإلهام من رب الغيب . والسؤال الذى يتبادر إلى أذهانكم الآن :

ولماذا لا يوحى الله إلى المسلمين بشيء ولا يلهمهم بشيء من هذه الكشوف والعلوم .. لماذا تخرج الاختراعات والمبتكرات والاكتشافات من نصف الكرة الآخر ؟ .

والجواب هو حالة الإغماء والغيوبة والتخلف والكسل فى بلاد المسلمين الذين ما عادوا مسلمين .. وما عاد إسلامهم إلا بطاقة مجردة بلا قيم وبلا أخلاق .. فكيف ينزل الإلهام على غافل وكيف ينزل الوحي على عقول أقلت أبوابها بترابيس التعصب والجهل .

انهم الآن مصداق الآية :

﴿ نسوا الله فَنَسِيَهُمْ ﴾ .

(٦٧ - التوبة)

﴿ نسوا الله فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ .

(١٩ - الحشر)

﴿ استحوذ عليهم الشيطان فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴾ .

(١٩ - المجادلة)

﴿ نسوا الذكر وكانوا قوما بورا ﴾ .

(١٣ - الفرقان)

وهذا البوار والخراب والتخلف فى ديار المسلمين هو نتيجة لعدم الأخذ بأسباب العلم .

فكيف نتوقع من الذين ينزلون البحر دون أن يتعلموا السباحة .. إلا الغرق .

وهذا حالنا الآن .

نحن غرقى الجهالة .. حتى اشعار آخر .

□ □ □

ما هو تمام التوحيد .. ؟

الله واحد أحد منفرد بالخلق والفعل والتدبير
فى الكون بلا شريك .

﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله
إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على
بعض ﴾ .

(٩١ - المؤمنون)

﴿ قل ولو كان معه آلهة كما يقولون إذا
لابتغوا إلى ذى العرش سيلا ﴾ .

(٤٣ - الإسراء)

﴿ وجعلوا له من عباده جزءا ان الإنسان
لكفور ﴾ .

فلا يصح القول عن إنسان أن ظاهره ناسوت وباطنه
لاهوت .. فانه الأحد صمد (أى لا يقبل القسمة ولا يقبل
التجزئة) .. وهو متعال وليس كمثله شئ لا يتحيز فى مكان
ولا يتزمن بزمان ولم يأت عن سبب (فلا يصح أن نقول من
خلق الله ؟) لأنه ليس معلولا بعلة بل هو خالق لجميع العلل



وفوق جميع الأسباب ، وهو أول لا أول قبله وآخر لا آخر بعده فهو أزلى أبدى واجب الوجود بذاته في غير حاجة إلى من يوجده .. قديم .. كان من الأزل ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان .. وكل جديد بالنسبة له تحصيل حاصل .. فجميع ما خلق ويخلق هي أشياء يبدئها ولا يبتدئها .
والقرآن يسند إلى الله كل شيء .

﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه إنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا ﴾ .
(٢٥ - ٢٩ عبس)

﴿ أفرايتم ما تحرثون أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ﴾ .
(٦٣ - ٦٤ الواقعة)

﴿ أفرايتم الماء الذي تشربون أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ﴾ .
(٦٨ - ٦٩ الواقعة)

﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ﴾ .
(٢١ - الزمر)

﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ﴾ .
(٢٥ - الحديد)

﴿ الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم ﴾ .
(٤٠ - الروم)

﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ﴾ .
(٤٢ - الزمر)

وجميع الكوارث هو الذي ينزلها .. وهو الضار في كل ما يضر والنافع في كل ما ينفع .

﴿ وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ﴾ .
(٧٤ - الحجر)

﴿ فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ﴾ .

(١٣٣ - الأعراف)

﴿ فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات ﴾ .

(١٦ - فصلت)

﴿ فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم ﴾ .
(٤٠ - القصص)

﴿ فحسفنا به وبداره الأرض ﴾ .
(٨١ - القصص)

﴿ إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ﴾ .

(٣١ - القمر)

□ □ □

وجميع الفتن هو الذي يأذن بها ، فهو الذي يفتن خلقه ويختبرهم ويعذبهم ويكافؤهم .

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ .

(٥٦ - القصص)

﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ .

(٤٩ - يونس)

﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًا وَلَا رَشَدًا ﴾ .

(٢١ - الجن)

﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾ .

(٩ - الأحقاف)

﴿ إِنْ يَرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا ﴾ .

(٢٣ - يس)

وعن السحرة يقول ربنا :

﴿ وَمَاهُمْ بِضَارِينَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ .

(١٠٢ - البقرة)

وعن الشيطان :

﴿ وَلَيْسَ بِضَارِهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ .

(١٠ - المجادلة)

ومن أجل هذا يقول لعباده :

﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً .. أَنْصَبُوا .. وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ .

(٢٠ - الفرقان)

﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ﴾ .

(٥٣ - الأنعام)

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ .

(٣ - العنكبوت)

ويقول لموسى :

﴿ وَقَتَلْتُ نَفْسًا فَتَجِينَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾ .

(٤٠ طه)

﴿ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ .

(٤١ - المائدة)

﴿ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ .

(٨٥ - طه)

ولذلك يقول موسى عليه السلام لربه طالبا المغفرة لقومه :

﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ﴾ .

(١٥٥ - الأعراف)

ويقول ربنا معلما نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام :

وله أيضا ما نخترع ونؤلف فهو الملهم والموحي بكل جديد .

﴿ وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام ﴾ .

(٢٤ - الرحمن)

وهى كل ما نصنع من مراكب وسفن .. ويقول عن نوح :

﴿ فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ﴾ .

(٢٧ - المؤمنون)

وهكذا صُنعت أول سفينة تحت عين الله وبوحيه .. وينسحب هذا على كل نصنع ونخترع فهى ملكه بالأصالة وملكنا بالإنباء .

ووحى الله متصل بكل خلقه من نبات وحيوان وإنسان وجماد وليس فقط بالرسل .

﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ﴾ .

(٦٨ - النحل)

﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ﴾ .

(٧ - القصص)

﴿ قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم ﴾ .

(٦٩ - الأنبياء)

﴿ قلنا يا أرض ابلعى ماءك وياسماء أقلمى ﴾ .

(٤٤ - هود)

﴿ فلا تخافوهم وخافون ﴾ .

(١٧٥ - آل عمران)

﴿ فلا تخشوهم واخشون ﴾ .

(١٥٠ - البقرة)

ويقول للنبي :

﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ .

(١٢٩ - آل عمران)

﴿ لله الأمر من قبل ومن بعد ﴾ .

(٤ - آل عمران)

﴿ قل إن الأمر كله لله ﴾ .

(١٥٤ - آل عمران)

﴿ بل لله الأمر جميعا ﴾ .

(٣١ - الرعد)

﴿ وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين ﴾ .

(٥٩ - الأنعام)

﴿ والله ما فى السموات وما فى الأرض ﴾ .

(١٢٩ - آل عمران)

﴿ وله ما سكن فى الليل والنهار ﴾ .

(١٣ - الأنعام)

« ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها .. قالتا أتيننا طائعين » (وذلك فى أول الخلق)
وهو سبحانه وحده الذى يصلح الصالحين ويخلص
المخلصين ويزكى الأنفس برحمته .
يقول عن الأخيار من خلقه :

﴿ وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام
الصلاة وإيتاء الزكاة ﴾ .

(٧٣ - الأنبياء)

وعن الحواريين :

﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى
وبرسولى قالوا آمنا ﴾ .

(١١١ - المائدة)

﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا
لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ .

(٢٤ - السجدة)

بل هو الذى يضع الحجة البالغة فى افواهنا لنخرس بها
خصوصنا .

﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على
قومه ﴾ .

(٨٣ - الأنعام)

□ □ □

.. حينما ادعى النمرود أنه يحيى ويميت قال له إبراهيم :
﴿ إن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت
الذى كفر ﴾ .. قال ذلك إلهاما عن ربه .. وكذلك المكيدة التى
جاء بها يوسف لياخذ أخاه من دين الملك - يقول الله ..

﴿ كذلك كدنا ليوسف ما كان لياخذ أخاه فى دين الملك إلا أن
يشاء الله ﴾ .. كان الله هو صاحب هذه المكيدة .

□ □ □

ولهذا يقول رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام ..
لمن يسأله .. يا بنى إن الناس كلهم لو اجتمعوا على أن
يضروك بشيء ما ضروك إلا بشيء كتبه الله عليك وإن
اجتمعوا على أن ينفعوك ما تنفعوك إلا بشيء كتبه الله لك .
ويقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام عن ربه : ﴿ الذى هو
يطعمنى ويسقئنى وإذا مرضت فهو يشفين ﴾ وفى كتاب
المواقف والمخاطبات .

إذا أكلت من يدى وشربت من يدى لم تطعك جوارحك فى
معصيتى .

ويبقى بعد ذلك السؤال الكبير :

إذا كان الله منفردا بالقضاء والقدر والتصرف والفعل
والرزق والضرو والنفع والهداية .. وإذا كان الأمر كله لله وليس
لنا من الأمر شيء فماذا بقى لنا ؟

يقول العارفون : بقيت لنا النية والمبادرة وعليها نحاسب .
وآيات كثيرة من القرآن جعلت فعل الرب مؤسسا على
مبادرة العبد وعلى علمه بقلبه ونيته .

﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى ﴾ .

(١٧ - محمد)

﴿ فى قلوبهم مرض فزادهم الله
مرضا ﴾ .

(١٠ - البقرة)

﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ .

(٥ - الصف)

﴿ ولو علم فيهم خيرا لأسمعهم ﴾ .

(٢٣ - الأنفال)

﴿ فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم
وأثابهم فتحا قريبا ﴾ .

(١٨ - الفتح)

القلب إذن هو عمدة الحكم .. وعليه يتأسس الفعل
الإلهي .

ولهذا جعل الله قلب الإنسان حرا .
لواجتمعت سلطات العالم على قلب رجل واحد
لما استطاعت أن تغيره كرها .

ولو تحالف الحديد والنار والسجر والتهديد على سجين
فى زنزانه انفرادية لما استطاعت تلك القوى مجتمعة أن
تجعل هذا السجين يحب ما لا يحب أو يكره ما لا يكره .
ربما استطاع السجان أن يقهر سجينه على التوقيع على
ورقة بالإكراه .. ربما استطاع أن يرغمه على تقطيع الحجارة
وأكل الحصى .. ربما استطاع أن يقطع لسانه وينزع جلده
ولكن لا ولن يستطيع أن ينزع ذرة كراهية من قلبه أو يبدل
عواطفه قهرا .

□ □ □

فهناك فى أعماق الأعماق نفس اعتقها الله من كل القيود .
لا سلطان لأحد عليها .. حتى الشيطان لا يستطيع أن
يدخلها إلا بدعوة .

يقول ربنا للشيطان :

﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان
إلا من اتبعك من الغاوين ﴾ .

(٤٢ - الحجر)

ويقول العارفون : لا يستطيع أحد أن يدخل إلى القلب
وإلى النية .. إلا الله .

﴿ واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه
وانه إليه تحشرون ﴾ .

(٢٤ - الأنفال)

فهو بلطفه قد يحول بين النية وصاحبها إذا رأى انها
ستهلكه وأنس منه تقوى .

وهو بذلك قد يفوت عليه ذنبا إذا علم فيه خيرا .
وذلك باب من أبواب اللطف الخفى .
وفى أعماق آيات القرآن يخاطب الله محمدا عليه الصلاة
والسلام قائلا :

﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ .

(١٧ - الأنفال)

ويقول للمؤمنين المقاتلين :

﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ﴾ .

(١٧ - الأنفال)

فيثبت لنبيه الرمى وينفيه مع انه رمى بالفعل .. وينفى عن
المؤمنين قتلهم للكفار مع أنهم قتلوهم بالفعل ورأى العين .
وهنا كلام كثير يقوله العارفون الأكابر .. فانه هو الفاعل
لكل شىء بالأصالة أو الوكالة (فمن أسمائه انه الوكيل) أى
القائم على إنفاذ الأعمال .. وما كان دورنا إلا النية وتوجيه
الطاقة .. ولكن الطاقة طاقته والقوة قوته .. حتى القوة التى
فى ذراعنا أو الصلابة التى فى السيف أو التفجير الذى فى
القنبلة .. فكل هذه الطاقات طاقاته التى خلقها فينا
أو ألهمنا بها وأعملنا بأسرارها .

﴿ لا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء ﴾ .

فما كان للنبي من عمله إلا النية والمبادرة .. وكذلك
المؤمنون .. وعليها يثابون وبها يحاسبون .. أما جميع
الأفعال فهي لله .. وما كانت لنا طاقة نفعل بها أى شيء لولا
مدده فهو الذى أنفذ جميع الأعمال بطاقاته وأسبابه .

□ □ □

حتى هذه النية فانه يدخلها بلطفه ليشد من أزرنا ويثبت
قلوبنا أو يشتتنا رعبا إذا أراد .
فها نحن أولاء فى نهاية المطاف لانملك من أنفسنا
إلا العدم .

والله بكرمه هو الفاعل لكل أفعالنا الكريمة .. ثم هو يشكرنا
عليها ويكافئنا بالجنة على أفعال هو صانعها .. فهل بعد ذلك
من كرم .. وهل بعد ذلك من حب ؟

يقول ربنا فى حديث قدسى :
يا عبد خلقت كل الأشياء لك وخلقتك لى فلا تنشغل بما هو
لك عمن أنت له .

□ □ □

وفى المواقف والمخاطبات :

يا عبد كل شيء لى فلا تنازعنى مالى .

يا عبد أجبت كل من يدعوك ولا تجيبنى ؟

يا عبد غرت عليك فنهيتك .

يا عبد لا أكون انا المنتهى حتى ترانى من وراء كل شيء .

يا عبد لا تسكر بسواى تكن عارفا .

يا عبد ليس بينى وبينك بين .

ليس بينى وبينك أنت .

فانظر إلى فإنى أحب أن أنظر إليك .

يا عبد اهدم ما بينته بيدك قبل أن تهدمه يدي .

يا عبد ميعاد ما بينك وبين أهل الدنيا أن تزول الدنيا فترى

أين أنت وأين أهل الدنيا .

يا عبد نم وأنت ترانى أتوفك وأنت ترانى .. تستيقظ وأنت
ترانى أحشرك وأنت ترانى .

تموت يا عبد ولا يموت ذكرى لك .

يوم الموت يوم العرس يوم الخلود يوم الأنس .

يا عبد لولا صمودى ما صمدت ، ولولا دوامى ما دمت .

يا عبد الاطراق عبور الدنيا والآخرة والنظر حبس الدنيا
والآخرة والمثقت لا يصلح لى ولا يصلح لمسامرتى .

يا عبد قل فى ندم .

ربى الناظر إلى فكيف انظر إلى ما سواه .

يا عبد إذا تحققت بسرك لعلمت بأنك منى وأنتك تلينى وكل

شيء فى الوجود يأتى بعدك .. لا شيء يقدر عليك إذا عرفت

مقامك ولزمت مقامك .. فأنت أقوى من الأرض والسماء ..

أقوى من الجنة والنار .. أقوى من الحروف والأسماء .. أقوى

من كل ما بدا فى دنيا وآخرة .. ولا مستقر لك إلا عندى ..

حيث لا حيث وعند لا عند .

□ □ □

وهذا أبو العتاهية يقول :

طلبت المستقر بكل أرض .

فلم أر لى بأرض مستقرا .

يا عبد أنا وشيء لا نجتمع .. وأنت وشيء لا تجتمع .. أنا

وأنت تلك هى الغاية والمنتهى .

قل للمستوحش منى .. الوحشة منك .. أنا خير لك من كل

شيء .

من عرفنى فلا عيش له إلا فى معرفتى .

أقسمت على نفسى بنفسى ما ترك لى تارك شيئا إلا أتيته

ما ترك أو أركى مما ترك .

يا عبد خلقت لك الأشياء كلها وأنا خير لك من كل شيء لانى

صاحب الفضل قول الأشياء ظهرك وولني وجهك .. وقل مولاي
وجهني بوجهك لوجهك .
وفي الوجه الإلهي نعمة الخلود والدوام فكل شيء هالك
إلا وجهه .

متى يعلم الذين يتقاتلون من مسلمين ومسيحيين ويهود
وبوذيين أن كتبهم ما أنتهم إلا من واحد وأنها ما أمرتهم
جميعا إلا بشيء واحد ، وأن الدين واحد . ولكن المصالح
والكهنات والسلطات الزمنية هي التي غيرت وبدلت لتكون
هناك فرق وطوائف ورياسات ودول تعلو بعضها على بعض .
متى يعود الشتات المختلف إلى الكلم المؤتلف ؟ .. لا إله
إلا الله .

□ □ □

أليس عجيبا أن يكون الكون كله موحدًا في نسيجه وبنائه
وكيميائه وقوانينه بما فيه من جماد ونبات وحيوان بما يشهد
بالخالق الواحد ولا يخرج على الخط إلا الإنسان .. صاحب
العقل والتمييز ؟ !!

□ □ □

إحذر فلا تؤخذ الفتوى إلا من أهل العلم الشرعي

حكاية الربا والبنوك

كثر الكلام بين الفقهاء وأهل الفتاوى عن حل وحرمة شهادات الاستثمار وودائع البنوك وسندات التنمية .. فقال البعض بالحل وقال البعض بالحرمة وكان لكل منهم حجته وأسبابه . وأنا في الحقيقة أنظر إلى الموضوع من منظور مختلف . وأبدأ الموضوع من بدايته .. فالموضوع يدور على المال الذي يستثمره صاحبه ليربو (أى ليزداد) والكلام دائما عن الزيادة هل هي حلال أم حرام ؟ . ولكن الواقع يا سادة .. ان المال الذي يودع في البنوك لا يربو ولا يزداد وإنما يتآكل بالتضخم المستمر .. ونسبة هذا التضخم في مصر هي ما بين ٢٥ - ٣٠ في المائة .. وهي في العالم كله .. حول ذلك أو أكثر أو أقل .

□ □ □

أى أنك إذا أودعت ألف جنيه في بنك القاهرة .. ثم استرددتها بعد سنة فإن قيمتها الشرائية والفعلية (أى مقابلها الذهبي) سوف تنخفض بمقدار الربع فتسترددها من البنك ٧٥٠ جنيه فقط بحساب القيمة وإن كانت في يدك

الفا .. فإذا تفضل عليك البنك بفوائد ١٥ ٪ مثلا فإنك ستقبضها ٩٠٠ جنيه من حيث قيمتها الفعلية .. أى بأقل مما أودعتها منذ سنة .. أى أنه لا ربا فى الموضوع رغم الفوائد والزيادة الوهمية التى فى يدك .. لأن المبلغ فى حقيقته لم يرب لأن قدرته الشرائية انخفضت وهذا شأن الفلوس الورق فى هذا الزمان .

وفى أيام محمد عليه الصلاة والسلام حينما نزلت الشريعة كان الناس يبيعون ويشتررون بالذهب والفضة .. وهى أشياء حافظة لقيمتها .. وكان الوضع مختلفا .. وكانت الفلوس تربو عند المرابى بالفعل ولهذا انطبق عليها التحريم وصدق وصف الاستغلال .. لأنها تربو وتزداد بظلم وطمع وجشع المرابى الذى لا يقرض إلا بزيادة .

والوضع الآن مختلف فالعملة ورقية يطبع منها الحاكم ما يشاء ولا يستطيع برلمان أن يحاسبه فيهبط بقيمتها إلى الحضيض وتمتلىء الأيدي بأوراق لا قيمة لها ويعيش الناس فى تضخم قاتل ويصبح ما يأخذه صاحب الوديعة من البنك بعد ضم الفائدة أقل من أصل الوديعة .. فالمال لا يربو .. ولا ربا فى واقع الأمر .. ثم ان الذى يقترض منا المال ليس هو الفقير المحتاج المازوم وإنما هى الدولة التى تقترض المال لتستثمره فى مشاريع وأعمال وإنشاءات وإسكان ومدارس ومصانع تعود بالخير والنفع على المجتمع .. وأنت لا تقرضها ليربو مالك ويزداد .. فالحقيقة أنه لا يزداد بل ينقص ويتآكل رغم الفائدة ١٥ ٪ التى تأخذها من البنك .. لأن هناك نقصا فى القيمة الشرائية أصاب نقودك يبلغ ٣٥ ٪ .. أى أنك فى الحقيقة استرددت قرضك بنقص ١٠ ٪ من حيث القيمة الشرائية .. والبنك عوضك هذه الـ ٢٥ ٪ خسارة بمقدار ١٥ ٪ فائدة فأصبحت خاسرا ١٠ ٪ فقط .. فلا زيادة ولا ربا فى الموضوع .. فالمشكلة الفقهية لا وجود لها .

ومنذ سنوات وفى ندوة بمسجدنا دار بينى وبين المفتى الشيخ خاطر كلام بهذا المعنى .. فاحتد الرجل ورفع عقيرته ولوح بيديه وقال بأنى أخرج بالموضوع إلى متاهات وأن التضخم ظاهرة عارضة لا يصح أن يقام عليها حكم .. وأن ما أقوله بدعة ستقودنى إلى الكفر والعياذ بالله .. ورايت الموضوع سيتطور إلى مشاجرة ومشادة فأثرت السكوت ولم أعلق .

□ □ □

وكان ذلك منذ ١٥ سنة وكان سعر الدولار حينئذ ٦٠ قرشا والتضخم لم يكن وقتها ظاهرة عارضة كما قال الشيخ بل ظل يعمل وظل يتفاقم حتى بلغ سعر الدولار اليوم ٣٣٠ قرشا . ومعنى ذلك ان الجنيه المصرى انسحق إلى أقل من عشر قيمته .. وهو الآن ريال سعودي بعد أن كان ١٢ ريالا سعوديا .. والعالم سائر إلى تضخم أكثر وأكثر بسبب تزايد السكان والحروب وفساد البيئة والبطالة وهبوط الإنتاج وارتفاع سعر الطاقة .. إلخ إلخ إلخ .

إذن التضخم ليس ظاهرة عارضة كما قال الفقيه الفاضل . وكما يقول بعض الفقهاء بل هو كارثة مستمرة يجب أن ندخلها فى حساب الأحكام .. وإلا كنا نعطل عقولنا ونلقى بها إلى صناديق القمامة .. وهذا هو الحاصل بالفعل .. ان العقل الإسلامى معطل تماما وملقى به فى صندوق القمامة .. وممنوع أن يجتهد ويفكر .. وممنوع أن يتدبر وممنوع أن يتأمل .

□ □ □

والدليل على ذلك هذه الخناقة الحامية بين الفقهاء على الربا وحله وحرمة فى قضية الودائع البنكية وشهادات الاستثمار وسندات التنمية .. بينما فى الواقع لا يوجد ربا

بالمرة .. والنقود لا تربو ولا تزداد .. بل تنقص وتناكل رغم الفوائد القليلة التي لا تزيد عن كونها تعويضا عن بعض الخسارة .. وهو كلام ينطبق على المودع وفيه إبراء لذمته لأنه لا يأخذ زيادة .. ولكنه لا يبرىء البنوك من الشبهة .. لأنها تأخذ الودائع على ذمة استثمارها ثم لا تستثمرها بل تعود فتعطيها سلفا وقروضا بفوائد أكبر تصل إلى ٢٥ ٪ وتقبض الفرق دون أن تؤدي أى عمل إيجابى ودون أن تبني للمجتمع شيئا .. ويظل المال فى خزائنها مجرد ترانزيت لا يؤدي وظيفة سوى الإقراض والاستقراض .. ثم ان الفوائد العالية التي تقرض بها اصحاب المشاريع تؤدي إلى رفع الأسعار والتضخم .. وتعود الحلقة المفرغة للتضخم لتتهبط بالقيمة الشرائية للعملة أكثر فأكثر .

□ □ □

والبدائل الأخرى أمام المودعين .. هي الاتجاه إلى الريان والسعد والشريف والهدى وجماعات توظيف الأموال الإسلامية .. وقد انتهت بمودعيها إلى الكارثة التي عشناها . وحتى البنوك الإسلامية لا تستطيع هي الأخرى أن توظف كل أموالها فلا تجد مفرا من إيداع جزء كبير من أرصدها بفوائد فى الخارج حتى لا تتناكل بفعل التضخم .

□ □ □

والعيب هو فى النظام المالى العالمى كله الذى اخترعه اليهود ويهيمن عليه اليهود ، ويديره اليهود والشبهة الربوية تقع على النظام ككل وعلى مبدعيه ومؤسسيه .. وهى دول عظمى فى يدها الثروة والسلاح والقوة العسكرية والهيمنة السياسية .

وليس فى إمكان دول ضعيفة متسولة ان تغير هذا النظام العالمى وهى مرتبطة به بالضرورة شاعت أم أبت .. لقمتها وكسوتها وحياتها ودفاعاتها مرتبطة به .. وهى لا تستطيع أن

تستقل باقتصادها عن الاقتصاد العالمى .

□ □ □

والمودع فى آخر السلسلة ضحية .. وهو أمام ضرورة لا بديل عنها .. والضرورات فى جميع الشرائع تبيح المحظورات .

وهو يودع نقوده بنية استثمارية .. وهى نية سليمة .. ثم يقبض فوائد وهمية أقل فى قيمتها من أصل ماله .. فلا زيادة .. بل خسارة .. فهو برىء من الناحيتين . وهذا بعض ما يقال فى هذه الغابة التى اسمها .. البنوك والفوائد .. التى كثر فيها الخلاف .. وما يقال فى هذا الخلاف يقال فى أكثر من خلاف وفى أكثر من معركة حول الشريعة .. وحول الحلال والحرام فى حياتنا .

□ □ □

وما يزال فقهاؤنا ينظرون إلى الشريعة على أنها نصوص جامدة لا يجوز التفكير فيها .. وما يزالون يرفضون اجتهاد العقل فى هذه النصوص أو أعمال الاستنباط فيها .. مع ان النبى محمد عليه الصلاة والسلام أعطانا المثل فى سنوات الحرب وكذلك خليفته عمر بن الخطاب فى سنوات المجاعة فلم يقطع النبى عليه الصلاة والسلام يد السارق فى الحرب ، ولم يقطع عمر بن الخطاب يد السارق فى عام المجاعة .. رغم ان آية القطع جاءت فى القرآن مطلقة بلا استثناء . ولكن العقل والحكمة والرحمة .. كانت الأسباب التى أدت بالنبى عليه الصلاة والسلام أن يمتنع عن القطع فى وقت الحروب لأن القطع كان سيؤدى إلى زيادة فى المنكر بفرار المسلم إلى المعسكر الآخر ، وكذلك فى عام المجاعة كان القطع سيكون زيادة فى الظلم .

ولذلك قال العز ابن عبد السلام كلمته الشهيرة : إذا كان تطبيق الحدود سيؤدى إلى زيادة فى المنكر فالأولى بنا أن

نكتفى بالعقوبات التعزيرية الموجودة .

□ □ □

واصبح هناك باب كبير فى الفقه اسمه « شيوع البلوى » له أحكامه .. فحينما تشيع الفتن وتفسد الذمم ويصبح شراء شهود الزور على أبواب المحاكم أسهل من شراء حفنة أرز .. ويصبح تجريم الأبرياء بشهادة هؤلاء وقطع الأيدي ورجم الحرائر أمرا سهلا ميسورا .. مادام شهود الزور على استعداد لقول أى شيء .. فإن الشريعة نفسها يمكن أن تتحول فى أيدي هؤلاء السفلة إلى أداة ظلم بشعة .. ويجب حينئذ الاحتراز من تطبيق الحدود .. فما أراد الشارع سبحانه وتعالى بشريعته إلا أن تكون إصلاحا .. لم يرد بها أن تكون ذريعة استبداد فى يد السفلة .

□ □ □

وقد بدأنا الدخول فى هذا العصر يا سادة .. عصر صدام وعصر الطغيان .. عصر الفتن المضلة والأكاذيب المطلية بالمبادئ .. والذمم المشتراة بسبائك الذهب .. وذمم من ؟ .. ذمم ملوك ورؤساء وقادة وحكام وفقهاء وكتاب .. وفى هذا العصر الملتوى المشبوه يلزم أن يصحو العقل ويأخذ عصا القيادة ويلزم أن تتفتح العيون وتنتبه الحواس وتتيقظ الضمائر .. ونخرج من حالة التحجر والتعصب والانغلاق السلفى على النصوص والتورع عن التفكير . أقول لابد من ثورة عقلية كاملة تعيد للإسلام نضارته وبهاءه وتنقذنا من هذا التخشب والتحجر والتجمد والموت . العقل والعلم والعمل .. ثلاثة فرسان لابد أن يدخلوا الساحة ويملاؤا الفجوة التى أحدثتها قرون الجهل والتخلف بالإسلام .

إن الإسلام دين عقل ودين علم .. ودين عمل .

□ □ □

وقد جعلنا منه دين تقليد ودين جهل ودين كسل .. وعشنا على النقول وعلى كتب قديمة صفراء كانت لها ظروفها .. وكانت فى زمانها اجتهادات وابتكارات .. ولكنها الآن .. لا تصلح لأكثر من مؤشر .. ولأكثر من تاريخ .

أين نحن .

وأين عصرنا .

وأين عطاؤنا .

وهل اكتشفنا الجديد الذى يقوله القرآن لهذا العصر . وهل تحديات عصر الفضاء والأقمار الصناعية .. والهندسية الوراثية .. والكومبيوتر .. وثورة الاتصالات .. والإنسان الآلى وأسلحة الدمار الشامل .. والمخدرات .. تجد ما يقابلها من اجتهاد علماء الدين وفقهاء القرآن .. وهل نظم المال والاقتصاد والسياسة والديموقراطية لها ما يقابلها من اجتهاد المسلمين .

□ □ □

وهل كان من الإسلام فى فترة تدفق أموال النفط وارتفاع سعر البرميل من ٤ دولارات إلى ٤٢ دولارا ببركة حرب ١٩٧٣ التى خاضتها مصر أن يتحول هذا الثراء المفاجئ فى دول النفط العربية إلى ترف معمارى وانفاق استهلاكي رهيب فى الوقت الذى تحولت فيه مصر بسبب المعاناة الاقتصادية إلى زحام بلا مرافق وطلبة بلا جامعات وتكدس بلا إسكان وديون بلا حد .. أين هو مفهوم الأمة الإسلامية ؟

□ □ □

ورغم هذا الترف ورغم تلك الجامعات الشاهقة على البر العربى ، فقد كان الوعي الإسلامى يتراجع إلى الوراء .. وأيامها جاءت الفتوى من عالم إسلامى كبير ساعة نزول الرواد الأمريكيين على سطح القمر .. بأن ما حدث هو أكاذيب كفار .. فلا أحد يمكن أن ينزل على القمر .. وأن الأرض لا يمكن

ان تدور .. والذي يقول بدورانها كافر .. قال بهذه الفتوى عالم كبير ومفتٍ عظيم .

وأقل ما توصف به تلك الفتوى انها انقلاب .. ولكن إلى الخلف .. نكسة إلى ما وراء العصر الحجري .

لقد فتح الشيخ محمد الغزالي الباب بكتبه الأخيرة لثورة العقل وإعادة النظر وتقليب الفكر في هذا التراث الذي نؤشك ان نجعل منه مدفنا وقبرا لأعظم ديانة جاءت بها السماء .. وحسنا فعل .. وبارك الله فيه .

ولكننا في حاجة إلى كتيبة من الثوار وإلى طوفان من الكتب .. وإلى حناجر تصرخ وإلى طاقة تفجيرية فكرية تقوم بتثوير وإيقاظ المؤسسة الدينية من سباتها لتخرج منها براعم فكر جديدة وأزاهير نضرة وأشجار باسقة وعلماء مجديدين .

لقد طال النوم .. حتى كاد يصبح موتاً . وما عدنا نسمع عن الجديد في إسلامنا إلا من أجنب .. مثل جارودي الفرنسي وهو قمان الألماني (مراد ولفريد) وليوبولد فايس اليهودي الذي أسلم باسم محمد أسد وموريس بوكاي جراح باريس الشهير .. ومن إسماعيلوفتش اليوغوسلافي رحمة الله عليه .

ومن الجزائر مالك ابن نبي وقد مات هو الآخر . فأين باقي كتيبتنا .. الزنداني .. ومهدي بن عبود .. والشعراوي . ويس رشدي .. أطال الله في عمرهم .

نريدها ثورة عقلية تقلب الأرض القديمة وتحرقها فكرياً . لا نريد مجرد ترديد النقول .. وتسميع المحفوظات .

ان معجزة الإسلام في ديناميكيته وقدرته الباطنة على التطور الخلاق والتلاؤم المستمر مع المتغيرات وسبق الظروف .

□ □ □

نريد عقولا تقتحم قلب المشكلة .. وليس اطرافها وحواشيها .

ان أكبر الحرام الا تفكر والا نعمل والا نتعلم ، أما هذا الذي يميل عليك بهمس مرتجف ليسال : هل تحية العلم في الجيش .. حرام .. هل هي وثنية ؟ .

هل تعليق صورة على الحائط حرام ؟ .
هل الزهور البلاستيك حرام لأنها تقليد لصنعة الله ؟ .
هل الخل حرام لأنه يات من التخمير ؟ .
هل يجوز وضع الكحول على الجروح أم هو حرام لأنه خمر ؟ .

هل الوضوء إلى الكوع أم لابد أن يشمل الكوع ؟ .
هل تمثال طلعت حرب في ميدان سليمان باشا حرام ؟ .
هل القمصان النيلون مكروهة للرجال ؟ .
هل الموسيقى حرام ؟ .

هل الاستماع إلى أم كلثوم حرام ؟ .
هل نضع اليدين على الصدر أثناء الصلاة أم نرسلهما ؟ .
وماذا لو كانت للمصلي ذراع واحدة ؟ .
وماذا عن العطور والمانيكير ؟ .

وهل يكفي الحجاب أم يلزم النقاب ؟ .
وما طول الجلباب الشرعي حتى نكون مع السنة ؟ .
وما شروط إرسال اللحية وما مواصفاتها المطلوبة في السنة ؟ .

□ □ □

وإلى متى يظل إسلامنا نصوصاً بلا فكر وتقليداً بلا تدبر ؟

وكما يقول الشيخ الغزالي : تنظر إلى المسلم فنراه من فائلته إلى قميصه إلى بذلته مستورداً وترى القلم في يده صناعة ألمانية والتليفزيون صناعة يابانية والراديو صناعة كورية والتكييف صناعة انجليزية حتى الجلابب من هونج كونج والطاقيّة من الصين والساعة من سويسرا والنظارة أمريكية والحذاء إيطالي والسبحة اندونيسية والخادمة فيليبينية والمربية سيرلانكية .
وتعجب لحاله .. فلم يبق فيه شيء يدل على هويته .. شيء واحد صنّعه يده .

□ □ □

وإذا كان عالمنا كله أصبح صناعة أجنبية .. والجزء الهزيل الذي تبقى لنا .. وهو لغتنا العربية جعلنا منها وسيلة خلاف وشقاق وتكفير .. كل واحد يحاول أن يخرج الآخر من الملة لأنه يقول كلاماً مختلفاً .. فإلى أي حضيض وصلنا .. قلوبنا أصبحت شتى .. وبأسنا بيننا شديد .. ومجموعنا لا شيء .

فمتى نهتدي إلى لب الأمر وجوهر الموضوع .. ونفهم أن الدين علم وعمل ومكارم أخلاق وأن الاجتهاد لا يضر بالدين ولكن يزيد خصوبته وأن الاختلاف هو أساس غنى المجتمعات إذا ترجم إلى أفكار وأعمال .

□ □ □

والحضارة كلها كانت عطاء ناس مختلفين .. ولكنهم عرفوا كيف يختلفون ليعطوا وليكملوا لا ليهدموا بعضهم البعض .
وكنا نقرأ تفاسير القرآن في الكتب القديمة فنرى للصفحة ثلاثة هوامش وفي كل هامش تفسير مختلف للآية .. دون أن يطعن الواحد في زمة الآخر أو يكفره .

وينسى هؤلاء وأولئك أن السنة النبوية هي أولاً خلق وسلوك وتقوى .. ولم يكن أحد يلتفت إلى لحية النبي عليه الصلاة والسلام أيام البعثة . فقد كان أبو جهل له لحية وأبو لهب له لحية والكل لهم لحى .. ولم تكن اللحية تعنى شيئاً .. وحينما احتكموا إلى محمد عليه الصلاة والسلام في من يرفع الحجر الأسود .. كان أول ما قالوه حينما راوه مقبلاً .. أن قالوا .. جاء الأمين جاء محمد .. لم ير أحد منهم لحيته وإنما الشيء اللافت والمميز كان أمانته .. كانت هذه حلية الرجل .. وبهذا عرفوه .

□ □ □

وهكذا كان يعرف الرجال وهكذا كانوا يتميزون .. بأمانتهم وخلقهم لا بلحاهم وشواربهم وهذا هو مدار السنة وجوهر السيرة وروح الدين .

ففي الضياع في كل هذه المظاهر والهوامش والتفاصيل والأمور الثانوية والأسئلة الجانبية والقضايا الخلافية .. بينما الحق مهجور والخلق منكور والعقل مغشى عليه .. تماماً كما حدث من قديم حينما اختلف القوم .. ورفعوا اختلافهم إلى المفتي سائلين .. هل دم البرغوث ينجس أم لا يا سيدنا . فقال الرجل في استنكار .. تقولون هذا وأيديكم ملوثة بدم الحسين .. قاتلكم الله .. ونحن ما زلنا في هذا الدرك من التخلف .. والتفاهة العقلية .. نتشاجر على صفائر ونختلف على شكلية .. بينما لب الدين نفسه مهجور وقضية الأخلاق لا ذكر لها .. والاقتصاد الذي تدور حوله رعى المجتمع ويعتمد عليه رخاء الناس وأرزاقهم لا نعلم عنه شيئاً .

إلى متى نظل سادريين في هذه التفاهة ؟
وإلى متى نظل غائبين عن الحقيقة الكبرى التي إسمها الإسلام ؟



فمتى تعود هذه الصولة الفكرية والصحوۃ العقلية .. لدين
معجزته الأولى عقلانية ؟ .. فلم يعط الله نبيه محمدا عليه
الصلاة والسلام عصا يشق بها البحر .. وإنما أعطاه حجة
وبيانا ومنطقا يبهـر العقول .

□ □ □

ملوك السيرك

الذين شاهدوا معنا أوليمبياد سول والأرقام
القياسية المذهلة التي سجلها أبطال القفز
والجرى والسباحة والغطس والملاكمة
والمصارعة والكراتيه والمهارات الخرافية لبنات
الست عشرة سنة في اللعب على العقلة
والمقوازيين والحصان الخشبي والمعجزات
الباهرة في فن التدريب والتمرين والمثابرة .

كنا نشعر ونحن نتفرج أن وراء كل ميدالية ذهبية مؤسسة
ودولة وخبرة ألف عام .

ولكن لا أحد منا حاول أن يخرج إلى سيرك الطبيعة
المفتوح .. لا أحد حاول أن يسافر إلى غابات الأمازون وأدغال
مدغشقر وأحراش أوغندا ومراعى السفانا الاستوائية ليشاهد
ماذا تصنع الحيوانات البدائية في ملعبها الطبيعي بدون
تدريب وبدون مؤسسات وبدون نواد رياضية تنفق الملايين .

□ □ □

ان اسرع عداء بين البشر لا تتجاوز سرعته ٣٢ ميل ساعة .

فهل تعلم بأى سرعة تجرى الغزالة - ٤٤ ميل ساعة .
والنعامة ٥٠ ميل ساعة .
والفهد ٧١ ميل ساعة .

وتستطيع الغزالة فى ذروة سرعتها أن تغير اتجاهها فجأة إلى العكس بشكل يربك أعنف المطاردين وتستطيع أن تنظم تنفسها طوال الوقت فى انسياب هادىء وكأنها تمشى بينما يلهث الأسد ولا يستطيع المواصلة فيستسلم يائسا بعد دقائق .

أما البرغوث فيستطيع فى قفزة واحدة أن يبلغ ارتفاعا مقداره ١٣٣ مرة قدر طوله أى بما يماثل إنسانا يقفز إلى ارتفاع كاتدرائية فى قفزة واحدة .

□ □ □

أما إطلاق الرصاص فإن السمكة ذات المدفع تتقنه على طريقته .. فإن عندها مدفع مائى تستطيع أن تطلق به سلسولا من تحت سطح الماء يندفع بارتفاع خمسة عشر قدما ويسقط حشرة من على شاطئ البامبو .. وبرشاقة عجيبة ونشان متقن تسقط الحشرة فى فم السمكة فتأكلها .
أما الغطس فإن الرقم الأولمبى الحالى لامهر غطاس هو ثلاث دقائق وأربعون ثانية على عمق مائة متر .. فماذا تظن أرقام اخواننا الحيوانات .

طائر البنجوين ١٥ دقيقة على عمق ٢٦٠ مترا .

كلب البحر ٤٠ دقيقة على عمق ٣٠٠ متر .

الحوت ٨٠ دقيقة على عمق ٢٢٥٠ مترا .

وأطول سباحة للإنسان فى البحر ١٢٠ ميلا .

بينما الحوت يسبح ثلاثة آلاف ميل بطول الساحل الأمريكى كروتين نزهة عادية .

ويستطيع سمك السالمون أن يصعد فى الشلال ضد التيار بسرعة ١٦ ميل ساعة .
ويستطيع السمك الطيار أن يطير لمسافة خمسمائة قدم فوق سطح الموج .

□ □ □

أما الطيور فلها سجل باهر من الأرقام القياسية .
النسر يرتفع إلى ستة آلاف قدم .
والصقر يطير بسرعة ستين ميل ساعة .
وطائر (PRINCE OF FALCONS) يطير بسرعة ٨٢ ميل ساعة .

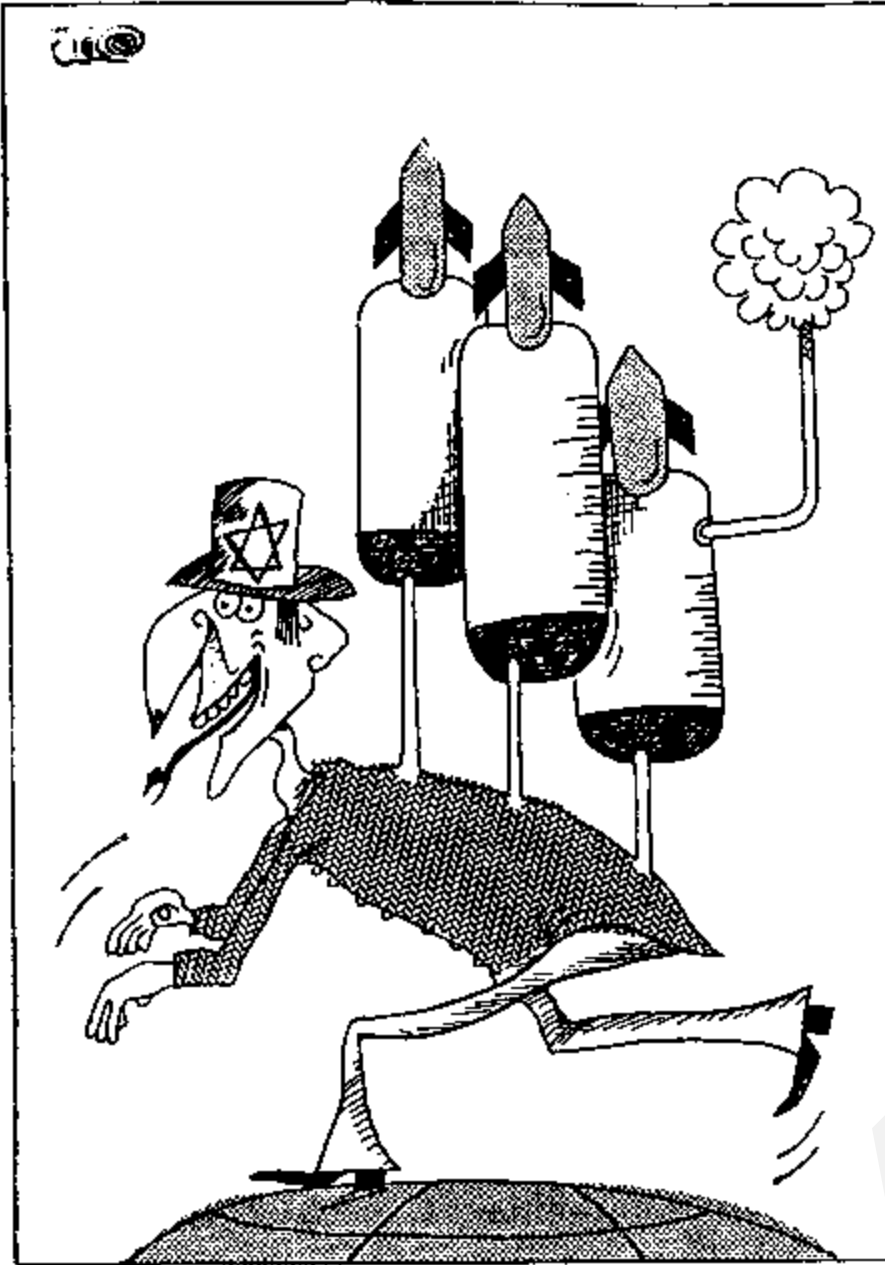
وطائر الألاباتروس عبقرى فن الانزلاق الشراعى فى الهواء .. يستطيع أن يتوقف أثناء الطيران فى رشاقة بديعة جذابة بدون آلات وبدون هليكوبتر .

أما اصغر الطيور (GREENLAND WHEETIA) فإنه يطير من أقصى الشمال فى جرينلاند عبر البحر إلى البرتغال جنوبا ٢٠٠٠ ميل طيران .

وأعجب منه الطائر القطبى الذى يبدأ رحلته من كندا ليعبر المحيط ثم يطير بحذاء الشاطئ الأفريقى إلى رأس الرجاء الصالح ثم يعبر البحر جنوبا إلى القارة القطبية الجنوبية ثم يطير حول القارة القطبية دورة كاملة ليعود فيندفع شمالا فى رحلة العودة إلى كندا .. أربعين ألف ميل .. رحلة خرافية لا تصدق فى ٢٣ شهر طيران يقطع فيها مسافة تساوى دورة كاملة حول العالم .. بدون خزانات وقود .

أما طائر (OXFORD SWIFT) فهو يطير من انجلترا إلى أسبانيا ويصل مدريد فى أقل من ثلاثة أيام .. ومجموع ساعات طيرانه خلال عمره القصير ثلاث سنوات يقضيها كلها فى الهواء .

□ □ □



والسيرك السياسي

وفي الساحة السياسية حولنا وباتساع رقعة العالم نجد سيركا من نوع آخر لا تقل فيه أنواع الشقلبة والجرى والقفز والغطس عما يفعله القروذ والنسانيس في الغابة .. لكن ملوك السيرك هنا أسماء لها وقار وشخصيات لها تاريخ وقادة لهم سلطان وحكم ونفوذ .. ورغم ذلك فإن ما يفعله الواحد منهم .. رغم الهالات الاعلامية .. لا يمكن أن يفهم إلا بأنه شقلبة .

□ □ □

واعجب الكل ماراثون الفراشات حيث تعبر مجموعات (MONARK BUTTERFLY) المحيط بحذاء شاطئ كاليفورنيا في ثلاثة أيام طيران متواصل بدون طعام بسرعة ١١ ميل ساعة واثناء هذه الهجرة شمالا ثم العودة يهلك منها المئات ويتساقط في البحر .

وأخيرا بهلوان البهاليل وأراجوز الأراجوزات .. القرد .. عبقرى القفز والنط والشقلبة .

التلقائية المذهلة .. والتمكن .. والاستاذية .. والشياكة في الحركة .. بدون مدرب وبدون معلم وبدون معاهد وبدون نواد .

معجزة خلاق عظيم .. وصنعة إلهية ليس كمثلها أي صنعة .

لا شك ان الطبيعة مسرح عظيم يهتف فيه كل الممثلون في كل لحظة .

بديع السموات والأرض .. جلّت قدرته عن الخظير والشبيه .. سبحانه ليس كمثله شيء .. في أي شيء .

وإذا كنا صنعنا واخترعنا واستعرضنا نحن أيضا فيما أعطانا الله من عقل وبما ميزنا من حيله .

انه هو .. ما زال العرض عرضه .. والإبهار إبهاره .. والإعجاز إعجازه .

□ □ □

فكيف نغفل عن هذا كله ونحن نضع الميداليات الذهبية على صدورنا ونمشي بها أمام الكاميرات مختالين .. وقد نسي الواحد منا كل شيء إلا أنه بطل .. بل انه البطل الأوحده .

□ □ □

شامير يتكلم عن الإرهاب الفلسطيني ويرفض أن يلوث يديه بمصافحة الفلسطينيين والجلوس معهم في الوقت الذي يقتل فيه أطفالا دون العاشرة بالرصاص ويهدم البيوت بالبلدوزات ويدك القرى بالطائرات ويسقط القنابل على لبنان لتقتل عشوائيا الشيوخ والأطفال والنساء الحوامل .

وأمریکا فی مجلس الأمن تندد بالقهر السياسي للشعوب وترفع شعارات مؤسسة العفو الدولية ، فإذا صدر احتجاج بالإجماع على ما تصنعه إسرائيل من قتل ونسف وتدمير .. قالت لا .. ورفعت كارت الفيتو .. وكان الدم الذي تريقه إسرائيل مياهها في بالوعة وليست دماء بشرية .

□ □ □

وهونيكر في ألمانيا الشرقية يحول دولته الأوربية إلى سجن غليظ قبيح بقضبان من البيروقراطية المتحجرة ، فإذا هرب الشباب بالألوف عبر المجر والنمسا إلى ألمانيا الغربية بحثا عن الحرية والفرص والعمل تعالت صرخاته متهما المجر بخيانة حلف وارسو وبالتآمر مع الامبريالية .. وبالميلول البورجوازية .. وبالانحلال الرأسمالي .. إلى آخر القائمة التي نسمعها من اخواننا اليساريين المحترفين في بلادنا .. بل ونقرأ لأحد هؤلاء اليساريين في عموده الصحفي : ان الشباب الألماني الهارب من ألمانيا الشرقية هو شباب خائن لوطنه .. ولا أفهم ما هية هذه الخيانة .. فالشباب موضوع التهمة مهاجر من ألمانيا لألمانيا .. بل وغالبا لأهله وأخوته وأعمامه وأخواله .. فأين الخيانة ؟ .. وما هو الوطن موضوع الخيانة ؟

كلام انتهى الآن .. وقصة انتهت وأصبحت نكتة .. واتحدت ألمانيا الشرقية والغربية .. وهرب هونيكر إلى روسيا .. وأصبحت الدنيا غير الدنيا في هذا السيرك الدوار الذي لا تنتهي مشاهدته .

وصاحبنا اليساري معذور . فالمشهد مثير وهو لا يقل عن فضيحة وإدانة للمذهب كله وشتمة بليغة لكل ما هو يساري ماركسي واتهام لا يوجد له رد والمشهد مضحك لدرجة البكاء .

□ □ □

وأعجب ما جاء في تعليق صاحبنا انه اتهم الشباب الألماني بعدم الوطنية مع ان كلمة الوطنية في القاموس الشيوعي كلمة مرفوضة .

الوطنية عند كارل ماركس رجعية وتخلف .. لان الوطن الحقيقي ليس هو هذا البلد أو ذاك ولا هذه الدولة أو تلك وإنما هو دولة واحدة فقط وهي الدولة الشيوعية الأم .. ولا ولاء إلا لهذه الدولة الأم .

ولهذا يتكلمون عن الأممية .. وعن ولاء واحد نحو الكرملين .. الكعبة الوحيدة للأخاء الإنساني .. (وقد سقطت هذه الكعبة الآن ولم يبق لها من الحراس إلا كاسترو) . أذكر ان آخر مناحة ارتفعت فيها أصوات الأعمدة اليسارية كانت حكاية بيع فندق سان ستيفانو في الاسكندرية .

□ □ □

وحينذاك تجلوت الصرخات وتعالت الاحتجاجات وسمعنا الشعارات المألوفة .. عن تصفية الاشتراكية .. والثورة المضادة .. والاتجاهات الامبريالية .. وبيع القطاع العام . ونجحت هذه الصرخات في تخويف وزارة السياحة وكف يدها عن المضي في هذا المشروع المنطقي والعقل والطبيعي جدا .

والنتيجة ان سان ستيفانو مازال خرابة .. وسوف يظل خرابة .. لانهم يريدون كل شيء خرابة .. لان الخراب هو البيئة الوحيدة التي ينتعش فيها حقد الفقراء ويشتعل الصراع الطبقي .

□ □ □

والحقد كما يقول تروتسكى وبنص كلماته : هو الرافعة
التي تحرك التاريخ .
وتروتسكى نسي أن يكمل عبارته .. فالحقد بالفعل رافعة
تحرك التاريخ ولكنها تحركه إلى الوراء وإلى الأسفل .. وإلى
بدروم الغرائز والاطماع التي يأكل بعضها بعضا بدون أمل
وبدون جدوى .

□ □ □

وكارل ماركس نفسه ولا جدال أحد ملوك السيرك السياسى
وهو صاحب مهارات فى اللعب بالمنطق والشقبة على حبال
الأفكار ، ولكن العابه الذكية قد انكشفت الآن وظهر للعيان أنها
كانت شقليات قردية ماهرة .. مع فارق .. أن القرد فى الغابة
حينما تتشقلب فإنها لا تكذب .. ولا تقول لنا انها تتفلسف
وتقدم لنا علوما ومذاهب .. وإنما هى مخلوقات صداقة وبريئة
ولا تقول أكثر من أنها تلعب وتمرح وتمرح وتفرح .

□ □ □

أما أصحابنا ملوك السيرك السياسى الذين يرتدون مسوح
الكهان ويمسكون بصولجانات الحكم ويضعون على رؤوسهم
تيجان المعرفة ويتصدرون منصات الزعامة فإنهم يقولون
كلما آخر شديد الوقار عن العدل والحرية والكرامة
والجماهير والشعوب وحركة التاريخ ولكنهم بالفعل يكذبون
ويتشقلبون وينصبون فخا محكمة من الظلم والاستبداد
يفتحون بها السجون للملايين .. لتستقبل الوف الضحايا كل
يوم .

ووراء كل بهلوان كبير بهلوانات صغار يرقصها على
الصفحات ويضع فى أفواهها الكلمات .
ولكل سيرك فى كل دولة فروع ولكل فرع مكاتب ولكل مكاتب
سدنة .

جاء من امستردام بهولندا انهم يبنون دورات مياه للكلاب

فى كل دورة سيفون وتتكلف الدورة الواحدة خمسة آلاف
دولار .

وجاء من بكين أن المحاكم الصينية أدمت اثنين من
الصينيين اختطفا وباعا ٢٤ امرأة ولم يذكر الخبر بكم كانت
تباع الواحدة .

هل هناك سيرك أعجب من هذا .. ؟ !!

□ □ □

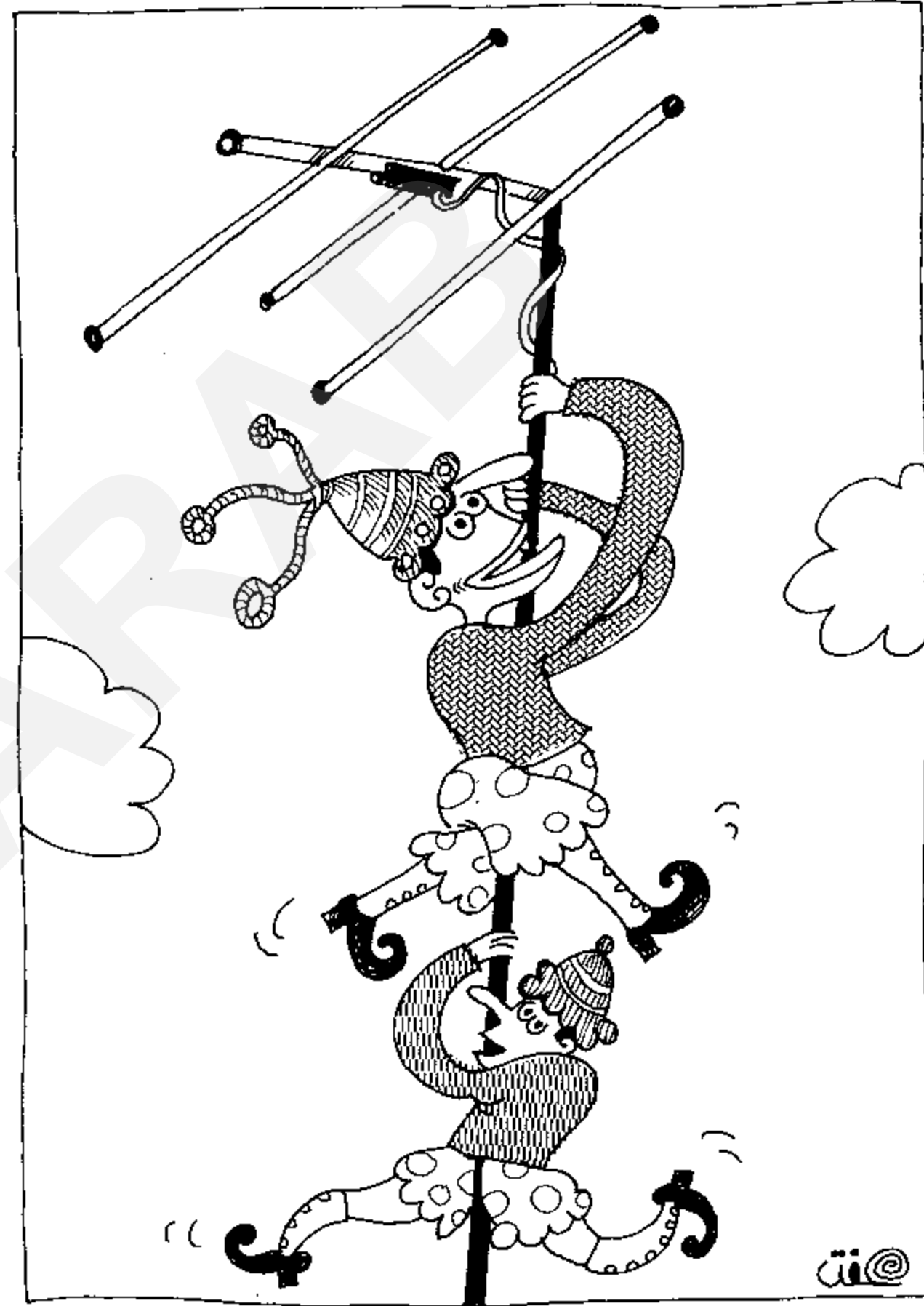
جرائم آخر الزمان

حينما وصلت لندن منذ أسابيع كان حديث الناس وموضوعات الصفحات الأولى في الجرائد عن السفاح الأمريكى جيفرى دامر الذى قتل سبع عشرة ضحية كلهم من السود والملونين وأكل أجزاء من أجسامهم .. وانفردت الديلى ميل بتفاصيل ودقائق عن آخر ضحية .. الجريمة رقم ١٧ .. والقَتيل فيها أسيوى من لاوس عمره ١٤ سنة اسمه كونراك سنكاسومفون .. وأمكن العثور على تسجيلات لبلاغات وشكاوى من الجيران خاصة بالحادث .

□ □ □

أحد تلك التسجيلات لامرأة تطلب الفجدة من البوليس وتقول انها رأت صبيا عريانا فى حالة سكر بين وعلى جسمه آثار ضرب يخرج من شقة جيفرى دامر .. والبلاغ الثانى كان لامرأة أخرى من الجيران تقول انها رأت الصبى العريان يخرج من الشقة وعلى جسمه آثار دماء وتعتقد أنه كان ضحية اغتصاب وتطلب التحقيق فى الأمر .

□ □ □



وصحيح ان القانون فى امريكا لا يتدخل فى الاختيار
الجنسى للناس .. وينظر إلى الشذوذ باعتباره أمرا يخص
صاحبه .. وانه حق من حقوقه .. وان الناس أحرار فى
أذواقهم (هكذا يقول القانون الأمريكى)
ولكن هل ماتت الشهامة أيضا وماتت النجدة .. وهل أصبح
التلذذ بالضرب حقا آخر يحميه القانون .

□ □ □

وأغلقت الصحيفة ورحت أنظر فى السقف وغرقت فى
التفكير بينما راحت يدي تعبث فى راديو الترانزستور الصغير
الذى لا يفارقنى .. وتوقفت يدي عند إحدى المحطات الإذاعية
وكانت محطة أخرى فى إنجلترا .. وكانت المتحدثة تشكو
للمذيع من حالة عدم المبالاة عند الناس وتروى له حادثة
بشعة حضررتها وشاهدتها بنفسها فى أتوبيس مشنوم صاف
أن صعدت إليه فى مشوار العودة اليومية إلى بيتها وكانت
الساعة متأخرة من الليل .. وفى الأتوبيس أكثر من عشرة
ركاب بينهم فتاة وسيمة بها مسحة جمال .. ثم كانت المفاجأة
التي ألجمت الأفواه فقد صعد إلى الأتوبيس رجل ضخم
الجثة .. ما أن رمق الفتاة .. حتى أخذ يحدق فيها بحيوانية
واشتهاء ثم فجأة هجم عليها وخلع عنها ثيابها وهى تصرخ
وتلوى وتصيح وتستنجد .. وألقى المجرم نظرات تلمع
بالشر إلى الموجودين حوله .. ثم احتضن ضحيته فى
شراسة وراح يباشر معها بغيته .

قالت المرأة : ونظرت إلى الركاب حولى .. فرأيت بعضهم
قد تشاغل بالنظر إلى الصحيفة بينما فتح آخر كتابا يقتلها فيه
بينما ألقى ثالث ببصره إلى النافذة وأسرع رابع بالهبوط من
الأتوبيس لينجو بنفسه .

وصرخت فيهم .. أليس فيكم رجل شهم يهب إلى نجدة
المسكينة التى تبكى وتلوى .. ولم أسمع إجابة من أحد ..

وكان تقرير رجال الشرطة الثلاثة الذين نهضوا للتحقيق ..
انهم عثروا على الولد الأسيرى مغمى عليه فاقتدا للنطق وعلى
جسمه آثار دماء .. ولما استجوبوا صاحب الشقة جيفرى
دامر .. قال انها مجرد مشاجرة بين عشاق .. وان هذا امر
عادى بين الشواذ .. وصدق رجال الشرطة كلام دامر وأعادوا
الولد إليه .. وانصرفوا .. وأغلقوا المحضر .

ولما عادت المرأة تسأل وتستفسر .. قال لها الشرطى : انها
حوادث عادية تحدث بين الاحباء من الشواذ .. ونحن
لا نستطيع أن نتدخل فى الذوق الجنسى لبعض الناس .
فقالت المرأة : أنا لا أستفسر عن هذا .. ولكن سؤالى عن
الولد .. فأنا أخشى أن يكون طفلا .. فطمأنها الشرطى بأنه
ليس طفلا وإنما مراهق بالغ .. ونصحها ألا تقلق بالها بمثل
هذه المسائل .. ففى أمثال تلك الحالات يكون ضرب الحبيب
مثل أكل الزبيب .. واللوم فى النهاية للأسف يقع على
البوليس الذى لا يرى فيه الاثنان إلا العزول المتطفل الذى
يتدخل فيما لا يعنيه .

وكان هذا هو آخر قتيل .

واعترف السفاح انه هو الذى أعطى المخدر للولد .. وانه
كان يخدر ضحاياه قبل الاغتصاب والقتل .
وقد أوقف رجال الشرطة الثلاثة وأعيد التحقيق معهم .

□ □ □

ولكن ما أثار انتباهى ولفت نظرى هى تلك اللامبالاة من
شرطة الأمن فى امريكا بمثل تلك المشاهد المستفزة من
الشواذ .. وأكثر من ذلك تطوع الشرطة لإعادة الولد إلى
صاحبه (وهو مغمى عليه من الضرب) وإغلاق المحضر .

□ □ □

وتكومت فى مكانى من الخزى وأنا أبكى من الغيظ .. وانتهى
الرجل مع فعلته القذرة .

وأسرع يهبط من الأتوبيس قفزاً .

وأردفت المرأة بصوت مرتجف تقول للمذيع :

— سيدى .. ماذا جرى فى الدنيا .. ماذا حدث لنا .. اننى
أكلمك وأريد أن يبلغ صوتى وصراخى كل مسئول فى هذا
البلد العريق .. انجلترا .. ما هذه اللامبالاه .. ما هذه
السلبية .. ما هذا البرود أمام جرائم خلقية لو حدثت فى
الماضى لقامت بسببها حروب .

هل هذه إحدى علامات التقدم .. أم انها إحدى ظواهر
التطور فى مجتمع العلم والتكنولوجيا الجديد ؟

□ □ □

وأغلقت الراديو الصغير وقد وقع بصرى على مانشيت
أحمر كبير آخر فى الصحيفة بيدي .. سفاح أمريكى فى
السابعة من عمره .. ثم سطور بالبنت الأسود تروى حكاية
الطفل جون جيلبرت من نبراسكا الذى قتل مربيته بسكين وهو
فى السابعة ولما أفرج عنه لصغر سنه قتل ثلاثة من زملائه
فى المدرسة بنفس الأسلوب ثم بعد سنوات قتل ثلاثة لاعبين
فى قاعة للألعاب الرياضية وأخفى جثثهم .

ثم خبر آخر فى مربع صغير عن المدعو دافيد إيفانز
٣٤ سنة من لويزيانا من سلاح مشاة البحرية الأمريكية
اغتصب وقتل طفلة فى العاشرة ثم اعترف انه قتل أكثر من
ستين من النساء والغانيات وقام بدفن جثثهن وأبلغ عن
استعداده للدلالة على أماكن دفنهن .

□ □ □

ثم ثلاث صفحات بالصور عن السفاحة الأمريكية هيلينا
وعشيقته تيريا .. وكيف كانت تخلع عارية فى بار من البارات
الرخيصة فى فلوريدا لتجذب الزبون ثم تستدرجه إلى الغابة
القريبة وتقتله وتسرق ما معه من نقود .. وبين قتلاها رئيس
نقطة بوليس فى السادسة والخمسين هو ديك همفرى .. وفى
اعترافاتها للبوليس قالت : لقد اغتصبتى الرجال اثنتا عشرة
مرة فصممت أن أنتقم واشتريت مسدساً صغيراً أخفيته فى
حقيبة يدى وبدأت استدرج الرجال واحداً بعد آخر .. ثم
أصبحت النقود التى أحصل عليها هى مصدر دخلى الوحيد
لأنفق على نفسى وعلى عشيقتى الحبيبة تيريا .

□ □ □

وكان لروسيا نصيب فى هذه الوليمة من الأخبار المرعبة
فنقلت إلينا الأذستيا أخبار السفاح جاليف الذى كان يقتل
ضحاياه ويأكلهم وانتهى به الحال إلى مستشفى الأمراض
العقلية .. والسفاح الآخر اليسكى سوكليتين الذى كان يدعو
أصدقائه فى ولاءم باذخة يقدم فيها لحوماً بشرية مشوية ..
وقد أعدم هو وشريكه رمياً بالرصاص .

وطويت الصفحات .

قلت لنفسى : ربما كانت حوادث فردية .. يحدث أمثال لها
فى كل مكان .. ولكن هذه المرة .. هناك شيء جديد له دلالة
خطيرة .. هو ما عبرت عنه المرأة فى حديثها مع المذيع عن
جريمة الأتوبيس .. وهى تروى له كيف كانت تبكى من
الغيظ .. وهى تتلفت حولها فى وجوه الركاب والمجرم يباشر
جريمته البشعة .. فتجد من تشاغل بالنظر فى صحيفة بيده ..
ومن فتح كتاباً وأخفى فيه وجهه .. ومن أشاح ببصره إلى
النافذة .. ومن أسرع إلى باب الأتوبيس لينجو بنفسه .. وهى
تصيح بالمذيع :

— سيدى .. ماذا جرى فى الدنيا .. ماذا حدث لنا ، ما هذه اللامبالاه ؟ .

□ □ □

ما هذه السلبية ؟ .. ما هذا البرود امام جرائم خلقية لو حدثت فى الماضى لقامت بسببها حروب .. هل هذا البرود جزء من التطور والتقدم والتحضر والتمدن .. هل هو إحدى واجهات مجتمع العلم والتكنولوجيا ؟ .

□ □ □

قلت لنفسى وأنا أغمض عيني لأبتعد بخيالى عن تلك المشاهد : لا أظن ان أى علم ولا أى تكنولوجيا سوف تغنينا عن مكارم الأخلاق .. ولا أحسب أن مجتمعنا يمكن أن يستمر قائما بمجرد العلم والتكنولوجيا وبمجرد وسائل القوة .. ودونما خلق أو فضيلة .

ثم أن هناك فارقا كبيرا بين انحرافات أخلاقية تجرى فى السر من وراء الجدران ولا يقوى مرتكبوها على المجاهرة .. ولون آخر من الانحرافات يجرى جهرا وعلنا فى الشوارع والمنتديات .. وفى حماية الشرطى .. الذى يعود بالولد المضروب والمعتدى عليه إلى صاحبه ليستأنف الاثنان مشوار الجنس الشاذ الذى يمارسونه .

ويقول الشرطى للشاكية .. لا نستطيع أن نتدخل فى الاختيار الجنسي للناس .

ثم يقول لها .. لا تشغلي بالك .. ففى مثل تلك الحالات يكون ضرب الحبيب مثل أكل الزبيب ويصبح الشرطى كالعزول الثقيل الظل الذى يدس أنفه فيما لا يعنيه .. مالنا ومالهم . والسؤال هو :

هل الشرطى لو أنه تدخل لردع المعتدى سيكون شأنه شأن من يتدخل فيما لا يعنيه .

وهل أصبح أمر الشذوذ الجنسى أمرا لا يعنى المجتمع ولا يعنى أحدا .

إذا صح هذا الافتراض .. فلماذا الشذوذ مباح فى أمريكا لمن شاء من الشباب فيما عدا شباب القوات المسلحة .. فمن كانت فيه تلك الوصمة لا يقبل فى الجيش الأمريكى . ليس فى ذلك اعتراف ضمني بأن الشذوذ يفقد الرجل لياقته كرجل فلا يعود صالحا لحمل السلاح ومباشرة مهام الرجولة مثل باقى الرجال .

فكيف يتعامل القانون بوجهين ومكيالين فى قضية واحدة .. يبيح هنا .. ويحرم هناك .

ثم ألا تنداعى الانحرافات فتؤدى الواحدة إلى الأخرى .. الشذوذ يؤدى إلى المخدرات والمخدرات تؤدى إلى الجريمة .. ثم ينزل الإنسان فى النهاية إلى الحضيض .. إلى حضيض القتل وأكل الضحايا ونهش الأعضاء الأدمية .

ألا تبدأ الشرور كلها كما تبدأ الكذبة الأولى على استحياء ثم تتأصل فى النفس وتستولى على الإرادة وتستعبد العقل وتجاهر وتتبجح وتفلسف نزواتها ثم يتحول الإنسان إلى وحش كاسر يفعل أى شيء .

والذين أباحوا الانحراف قلنا منهم أن المنحرف مريض نفسى والمريض أولى بالشفقة .. ألم يقلبوا الأوضاع .. فجعلوا المجرم أولى بالشفقة من ضحيته .

ثم ماذا كانت النتيجة .. لقد تحول المجتمع إلى مسرح للعبث واللامبالاه وتحول الشرطى إلى شريك فى العملية الإباحية يعود بالولد إلى صاحبه وهو مضروب وفاقد للوعى ليستأنف الاثنان عملية الضرب اللذيذ .. ولا يملك أن يفعل شيئا لأن القانون لا يتدخل فى الذوق الجنسي للناس .. والناس أحرار !!

وهل المنحرف يباشر حرية .. أم أنه فى حقيقة الأمر فاقد

لحريته وعبد مستعبد لشهوته ونزواته .. وهل طلب الشهوة من غير وجهها حرية يدافع عنها القانون ويحرص على توفيرها للناس ؟

أسئلة .. وأسئلة .. وأسئلة .

ولا شك أن هامش السماح الذي نلاحظه الآن في أوروبا وأمريكا في مسائل الجنس وفي إمتاع النفس وفي ترك الحبل للهوى على الغارب قد بدأ يجر الشباب ويجر المجتمع كله إلى منحدر خطير .

وحيثما يصبح المجتمع ذات يوم ولا أحد ينكر المنكر ولا أحد يعرف المعروف .. ويصبح الناس ذات يوم وهم لا يتناهون عن انحرافاتهم .. ولا يتناصحون على نجاتهم .. فتلك بداية النهاية .

قد يعتقد البعض أن الأمم العظمى لا تموت لمثل تلك الأسباب .. وأن روسيا كدولة عظمى حينما انتهت كان السبب هو الانهيار الاقتصادي وليس الانهيار الأخلاقي .

وأن أمريكا وأوروبا ستظل على مقعد القيادة والريادة إلى ما شاء الله رغم ما بها من انحلال .. وستكون لها السيادة إلى يوم القيامة .

□ □ □

والذين يرون هذا الرأي لا ينظرون إلا لمسافة قصيرة تحت أقدامهم .. فصحيح أن الموت الفجائي للأمم لا يحدث إلا بهزيمة عسكرية أو انهيار اقتصادي ولكن هناك موت آخر بطيء يعمل عمله في الأنسجة ببطء مثل صدأ الحديد أو تسوس الأسنان لكن النهاية مؤكدة وهي تآكل الهيكل وسقوطه أخيرا بفعل « البارومة » .

□ □ □

والذين يظنون أننا بمنجاة من تلك النهاية لأن عندنا دين وعندنا أخلاق واهمون . فحقيقة الأمر أن حظنا من الدين قليل

والتدين عندنا أكثره كلام ومظاهر ، كما أن حظنا من الأخلاق أقل .. وأهم من ذلك كله أننا نسير على نفس الدرب ونهتدي بنفس البوصلة وبنفس المؤشرات الغربية .. والفرق بين الانحلال عندنا والانحلال عندهم هو فارق في الدرجة فقط .. ولكننا على طريقهم .. وسنصل غدا إلى ما وصلوه اليوم إن لم يحدث ما يؤدي إلى تغيير البوصلة وتغيير المؤشرات . والوعي بهذه الحقيقة هو بداية الإصلاح .

أما النظر إلى النفس في غرور والظن بأننا أحسن وأفضل وأننا الموعودون المختارون المفضلون عند الله .. وأن لنا عند الله الحسنى .. دون عمل .. ودون خلق .. فهو الأمل في سراب .

والذين يرون هذا الرأي .. أقول لهم .. أبشروا بسوء المصير .. فلا في الدنيا لكم نفي .. ولا في الآخرة نفي .. أبشروا بالخسارة في الدارين .

انهم في أوروبا وأمريكا على الأقل .. قد ارتفعت لهم في الدنيا راية وعلا لهم صوت .. وإن كانوا يسيرون حثيثا إلى نهايتهم .

أما الجنوب المتخلف في كل أرجاء العالم فهو مغروس في أوحال الفقر والتخلف والجهل .. والعجيب أنه يستهوى في مسيرته بنفس المؤشرات ويتحرك على نفس الدرب الذي أخذه عن السادة « نقل مسطرة » .

ولا أرى أملا ولا مخرجا .. إلا في ظهور مؤشرات لحضارة جديدة .. حضارة تعود فيها القيم ومكارم الأخلاق والدين الحق إلى الصدارة دونما إهدار لمكتسبات العلم والتكنولوجيا ودونما إهدار لما اكتسبه الفرد من حريات وضمانات بل تكون غايتها المزيد من ذلك .

هل تخرج تلك الحضارة مرة أخرى من مخاض الحروب والآلام ومن رحم الدمار ومن مقبرة الحضارة الحالية ؟



ام سوف تخرج بظهور قيادات جديدة مستنيرة
يصنعها الله على عينه يجتمع حولها الناس حبا وتطوعا
لا خوفا وقهرا ؟

أرجو أن تكون الثانية .. فإن العنف في العادة لا يؤدي
لغير العنف .. وعلاج الشرور بالشرور لا يؤدي لغير الشرور .
والسؤال :

أحدث هذا التطور السلمي وفي ترسانة إسرائيل كل هذه
القنابل الذرية والكيميائية والميكروبية وتحت يدها احتياطي
ثلاثة ملايين جندي وحقد خمسة آلاف عام ؟

يقول القرآن الكريم عنهم :

« إن في صدورهم الاكبر ما هم بباليغيه .. »

أي أنهم لن يبلغوا الشاؤ الذي يشبع هذا الكبر أبدا .

وهم عائدون إلى حجمهم مهما علوا .

هذا كلام الله الذي خلقنا وخلقهم .

□ □ □

وتفسير هذا الكلام سيكون بطول وعرض ما بقي من

التاريخ وهو حكاية المستقبل .

ونسأل الله اللطف .

□ □ □

الحرب القادمة .. وهل تقوم قبل السنة الألفين ؟

الحساب الختامي لحرب الخليج .. خسائر
على طول الخط لكل العرب ومكاسب على طول
الخط لإسرائيل وأخواتها أمريكا وانجلترا وفرنسا
وباقى الحلفاء .. فهم يشترون البترول الآن بسعر
أقل ، وشركاتهم العاطلة تعمل لإعادة بناء الكويت
وتقبض ثمن البناء كما قبضت من قبل ثمن الهدم
وفائض المال العربى ذهب فى تغطية فواتير الحملة
العسكرية .. وأمريكا التى كانت لها ضيافة فى المنطقة
أصبحت لها إقامة دائمة وصوت حاكم .
والعرب الذين تمزقت وحدتهم أصبح من السهل جرجرتهم
إلى مدريد للجلوس مع إسرائيل وقبول الفتات إذا شئت
إسرائيل أن تلقى إليهم بالفتات .
ولا تلقى إسرائيل بالفتات بل ترفض على طول الخط ..
ترفض الانسحاب ولو شبرا واحدا وترفض تجميد بناء
المستوطنات .. وتخرج الأحزاب الدينية من الحكومة لأنه

جاء ذكر الحكم الذاتي في الصحف .. وتشن إسرائيل الغارات على جنوب لبنان وتلقى قنابلها على الفلسطينيين واللبنانيين .. وتطرد ١٢ فلسطينيا من أراضيهم في تجبر عجيب .. وتغتال الشيخ عباس موسى زعيم « حزب الله » اللبناني هو وزوجته وابنه .. والسلسلة مستمرة .

ودولة الإمارات التي أفلتت من دمار الحرب استدرجوها إلى مذبحه بنك الاعتماد والتجارة ونهبوا منها المليارات والأكراد المسلمون في النفي والشتات نهبا للجوع والبرد تطاردهم قوات صدام حسين في كل مكان .

وصدام حسين الذي أجمع الكل على أنه السبب المباشر والوحيد للمأساة .. مازال على رأس عصابته يحكم ويأمر ويشنق ويعدم في شعب عراقي أعزل يسف التراب وفي أسرى كويتيين يموتون في الزنازين .

من الذي عاقبته أمريكا بهذه الحرب إذن ؟ !!

ومن الذي جمعت له خمسا وعشرين دولة ؟ !!

ومن الذي أطلقت عليه الرصاص ؟ !!

وماذا كان هدف الحرب إن لم يكن عقاب المعتدى ؟ !!
الواقع يقول أن كل العرب هم المعاقبون .. بلا استثناء .. من فلسطين شرقا إلى الجزائر غربا .. حتى الصوت الإسلامي اليتيم الذي ارتفع في الجزائر من نوافذ شرعية تصاعد في أثره الضجيج والعجيج من جميع الأبواق الغربية ودقت طبول الاستنكار في فرنسا حتى خنقت الصوت في مهده .
وأمریکا صاحبة أكبر دعوة للديمقراطية .. وانجلترا التي تدعى أنها علمتنا الديمقراطية وفرنسا الحرية والعدالة والمساواة .. تنكروا جميعا للديمقراطية الجزائرية حينما رأوا أنها ستأتى لهم بما لا يعجبهم .

من الذي عوقب في هذه المواجهة التاريخية ؟ !!

□ □ □

ان صدام حسين المجرم الحقيقي كان عميلهم (كان عميلا لأمريكا في ضرب الثورة الإسلامية في إيران وكان عميلا لفرنسا في الحرب الأهلية في لبنان وكان يسلح المارشال عون المسيحي الكتائبى في حربه الدموية مع جعجع بناء على تعليمات فرنسا) وقد دخل صدام الكويت بضوء أخضر أعطته له السفارة الأمريكية أبريل جلاسبى .

لقد كان الفخ مجهزا من البداية .
وترسانة صدام كلها كانت بضاعة فرنسية وانجليزية وأمريكية وألمانية .

حتى الماء الثقيل واليورانيوم المخصب وأدوات الحرب الجرثومية كانت من عندهم .

لقد سلحوه لانهم يعلمون أن حربه ستكون علينا نحن لا عليهم ولا على إسرائيل .. وان الخراب الذى سيحدثه سيكون لحسابهم ولصالحهم .

وقد دمروا كل شيء في العراق إلا صدام حسين .
وليست صدفة أن يخرج المجرم الوحيد المسئول عن المأساة سليما معافى .. وليست صدفة أن يبقى إلى الآن سليما معافى لنظل مهددين بجنونه وفي حاجة إليهم وإلى معونتهم ونجدتهم طول الوقت .

يا إخوة ليس صحيحا أبدا أن الغرب صديقنا .. انه صديقنا فقط مادامت هذه الصداقة في صالح ميزانه التجارى .

لقد قالوها في إذاعاتهم وفي صحفهم حينما سقطت الشيوعية في روسيا .

قالوا .. اليوم انتهينا من الشيوعية .. ولم يبق للغرب عدو سوى الإسلام .

وحينما جاء الإسلام يبحث عن مقعد على مائدتهم وبشروطهم .. وبشروط اللعبة الديمقراطية التي يريدونها

رفضوه . رفضوا الديمقراطية التي أتت به . انها حرب تاريخية ضدنا عمرها ألف عام .

ونحن لا نبادلهم العداوة .. بل نبذل لهم الصداقة والود وتأخذ عنهم العلم والفكر ونمجد فنونهم وفلسفتهم .. ولا نفكر أن نحاربهم أو نفرض عليهم إسلامنا .. وإذا عرضنا عليهم فكرا أو فنا عرضناه في استحياء وخجل .

ولكن الحقيقة المريرة يا سادة .. أن الغرب قلبا وقالبا مع إسرائيل .. هو الذى زرعها فى قلب المنطقة العربية وهو الذى يرعاها وهو الذى يمولها ويسلحها وإذا كانت لنا نجاة .. أو كان لنا مخرج وحيد فهو .. أن نتماسك ونتحد رغم الجراح ونعود جبهة واحدة .. ليس لنعلن الحرب على الغرب .. بل لندافع عن أنفسنا .

إننا متهمون أبدا بتهمة لم نرتكبها هى العداة للغرب .. مع أن التاريخ يقول العكس .. فالحرب الصليبية جاءت منهم والعدوان الاستعماري جاء منهم .. ورغم أننا وقفنا مع الحلفاء فى الحربين العالميتين الأولى والثانية .. فقد اقتسمونا كتركة مستباحة وإرث مشاع وقطعوا أوصالنا بعد كل حرب .

□ □ □

وقد رضينا بالقسمة والقضاء ولم يرضوا وسكتنا على الغبن ولم يسكتوا .. وقد أرسلوا علينا مطايرد اليهود من كل مكان وسلحوهم وساندوهم . وما زالوا .. واليوم يجرعوننا سلاما لا سلام فيه .

وقد ارتضينا أن نتجرع أى سلام .. ولكن إسرائيل لم ترض لنا أى سلام .

ونحن لا نريد أى حرب مع الغرب ولا نفكر فى أى حرب ونرى أن أى حرب مع الغرب حماقة بلا جدوى ، فنحن لا نريد من الغرب شيئا وقد ارتضينا حكم الأمم المتحدة فى خلافنا مع

إسرائيل ، فما وجه التهمة المفتعلة التي علقوها فى رقابنا .. تهمة عدائنا للغرب ومحاربتنا للغرب .. إلا أن تكون ذريعة لأمر يكتمونونه أو تجمع بيبتونه .

لقد التقى أفاعى الصهاينة مع الأفاعى من متطرفى الانجيليين الأمريكيين على حلم يسمونه معركة « هرمجدون » يشعلونها على أرضنا يقضون بها على كل ما هو عربى .. وقالوا فى زعمهم أن المسيح لن ينزل من السماء إلا بهذه المعركة .. ووجدوا من يصدقهم فى كل ملة منحرفة .

والبهائيون يقولون قولهم .. وكذلك أتباع برج المراقبة وشهود يهوه .. وغيرهم من أهل السذاجات والهلوسات (والحمد لله أن أقباط مصر وكنييسة مصر ضد هذه الفرية) .

□ □ □

وقد وجدوا فى رونالد ريجان رئيس أمريكا السابق أذنا تسمع لهم وتصدقهم .. وكان ريجان نفسه يردد نبوءاتهم .. والذى كان يسفه لهم تلك الخرافات كانوا يدخلون له من باب آخر هو الخوف من الإسلام .. والخطر القادم من ناحية الإسلام .. والعداوة التي يضطرم بها قلب كل مسلم .. وما كان هناك من أحد يغذى تلك العداوة سواهم ، وما كان هناك من أحد يشعل فتيل تلك الكراهية سواهم .. فهم صانعوها منذ أيام خيبر .

وهذه الخلفية من العداوة من خلفهم يبنها عملاؤهم فى كل مجلس وينفثون سمومها فى كل مجال ويرددونها فى صحفهم وكتبهم ومنشوراتهم حتى استقرت كحقيقة ثابتة فى العقل الغربى وبات كل سياسى غربى يعتقد أن أى إحياء إسلامى معناه الحرب والوبال على الحضارة .

أى خطر كانت تشكل أفغانستان المسلمة على روسيا السوفيتية لتنقض عليها هذا الانقضاض الوحشى وتذكها دكا بالقنابل والدبابات والطائرات وجحافل الجيش الروسى .

ولماذا استعملت أمريكا الجهاد الأفغانى الإسلامى لضرب روسيا فلما سقطت روسيا كفت يدها عن مساعدة المسلمين ووقفت مع عدوهم اللدود نجيب الله الشيوعى وقطعت عنهم كل شىء حتى المعونات الغذائية .. وتكاتف الكل روسيا وأمريكا ضد هذه القلة المسلمة .

□ □ □

أى خطر تشكل تلك القلة المسلمة لئتتحالف عليها كل الجبهات لتجرعها سلاما روسيا أمريكيا يجهزونه فى موسكو بمواصفاتهم ؟

وأى خطر على الحضارة كان يشكل وصول الجبهة الإسلامية للإنقاذ إلى الحكم فى الجزائر بطريق ديمقراطى وبضمانات ديمقراطية ؟

إنه الخوف القديم من كل ما هو إسلامى .. والخطر الذى صورت به الصهيونية كل إحياء إسلامى ودمغت به كل صوت إسلامى .. والعقدة التى نجح اليهود فى غرسها فى العقلية الغربية .. أن المسلمين هم تثار المستقبل المخربون أعداء الحضارة .

□ □ □

لا أنكر أن بعض الدعاة الإسلاميين ممن ليس عندهم أدنى نصيب من الإسلام كانوا دعاة عنف .. ولكن من قال إن كثرة المشعوذين فى الأطباء تعنى أن نحارب الطب ونقضى عليه . لقد سمعت بأذنى فى إذاعة الـ B.B.C. النشرة الانجليزية لتصيد فقرة عدوانية من خطبة جمعة فى جامع جزائرى لتثير بها الدنيا .. ولا شك أن العبارة كانت لها سياق وكانت لها مناسبة .. ولكن النشرة التقطت الكلمات معزولة عن سياقها ومناسبتها لتفجر بها رد فعل عالمى سيئ .. وكان هذا الأسلوب المتحامل من معد النشرة يدل على نية الإساءة المسبقة والتشويه العمد المقصود .

وشعرت بالحزن والأسى .. فها هم اولاء يصطنعون عداوة من لاشىء .. ويختلقون صورة بربرية همجية للإسلام ليبرروا لأنفسهم إعلان الحرب عليه ويجمعون الشواهد على تحاملهم من كل شاذ ومنحرف ومريض القلب .

وأيقنت أن هناك أيدى كثيرة تمهد الطرق فى الخفاء لمواجهة أيدى كثيرة فى كل إذاعة وفى كل صحيفة وفى كل معلومة تبثها للقارىء والمستمع والمشاهد .. وأن أعداءنا أكثر بكثير مما كنت أتصور وأنهم يبذرون الشوك من الآن .. ويسممون منابع المياه .. ويزرعون الألغام فى طريق كل محاولة للتفاهم والتقارب .

واننا قد نستطيع بحسن السياسة أن نؤجل هذه المواجهة .. ولكنها قادمة .. إن لم يكن فى المدى القريب .. فهى حتما قادمة فى المدى البعيد وقبل العام ألفين من هذا القرن .

ولكن الدائرة هذه المرة سوف تدور عليهم .. فعلى الباغى دائما تدور الدوائر .

□ □ □

وخطأ الإسلاميين أنهم تصوروا أن الإسلام لن يباشر الإصلاح والتغيير فى العالم إلا إذا جلس على كراسى الحكم ولهذا أصبحوا يطلبون الكرسى أولا ويسعون إلى السلطة أولا .

وقد أخطأ بعضهم أكثر حينما سعوا إلى الحكم عن طريق العنف والانقلاب فأعطوا مثالا سيئا ونموذجا خاطئا للمنهج الإسلامى .

والذين سعوا منهم إلى الحكم من خلال قنواته الشرعية فقام فى وجههم العالم ظنوا أن الأبواب أغلقت فى وجه الإسلام وأسقط فى يدهم . والحقيقة أن الإسلام يباشر دوره الإصلاحى فى العالم منذ ألف سنة وينتشر دون أن يستخدم



السلطة ودون أن يصل إلى كراسي الحكم .
الإسلام انتشر في الهند والصين ودخل آسيا من خلال تجار
مسلمين لا سلطة لهم ولا جيش ولا حكم .. وكل ما فعلوه أنهم
كانوا قدوة وكانوا أمثلة طيبة أحبها الناس .. فسألوهم .. من
أنتم وما دينكم .. فقالوا نحن مسلمون ديننا الإسلام .. فقالوا
لهم .. علمونا دينكم .. فعلموهم .

□ □ □

وهكذا ظل الإسلام يعمل وينتشر خلال ألف سنة بقوته
الذاتية وبتأثيره على ضمير الفرد .. ودون حاجة إلى
السلطة .. وهو باب سيظل مفتوحا على مصراعيه إلى قيام
الساعة .. ولا قبل لأحد بإغلاقه .

□ □ □

وحسب المسلم أن يكون قدوة ومثالا فسيكون بذلك أقوى
من كل الفاتحين وليقم الغرب ويقعد فلن يستطيع أن يحجب
ما بالإسلام من نور ذاتي وسيكون للإسلام ختام الكلمة رغم كل
شيء .

□ □ □

■ الفهرس ■

ص

- اللغة التي تكلم بها آدم ٣
- جميع الأنبياء مروا من هنا ١٥
- أين كانت نفوسنا قبل أن تولد ٢٥
- هل عظماء الدنيا هم عظماء الآخرة ٣٧
- لماذا تمرض نفوسنا ؟ ٤٩
- لماذا أنا ذكر وأنت أنثى ٥٩
- ما هو تمام التوحيد ٦٧
- حكاية الربا والبنوك ٨٣
- ملوك السيرك ٩٧
- جرائم آخر الزمان ١٠٧
- الحرب القادمة ١١٩

□ □ □

رقم الإيداع : ١٩٩٢/٢٨٥١

الترقيم الدولي : I.S.B.N- 977- 08-0373-X
